الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي
تخصص: لسانيات الخطاب

العائد الإشاري والعائد المعجمي ودورهما في نسيج النص
دراسة لنماذج من القرآن الكريم

إعداد الطالب:
- هشام بن عروس

إشراف الأستاذ (ة):
- د. سعاد ميرود

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	المؤسسة الأصلية	الرتبة العلمية	الصفة
نورة كادي	جامعة يحي فارس	أستاذ محاضر أ	رئيسا
سعاد ميرود	جامعة يحي فارس	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
راضية عزيزي	جامعة يحي فارس	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللغات **قسم اللغة والأدب العربي**

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي
تخصص: لسانيات الخطاب

العائد الإشاري والعائد المعجمي ودورهما في نسيج النص
دراسة لنماذج من القرآن الكريم

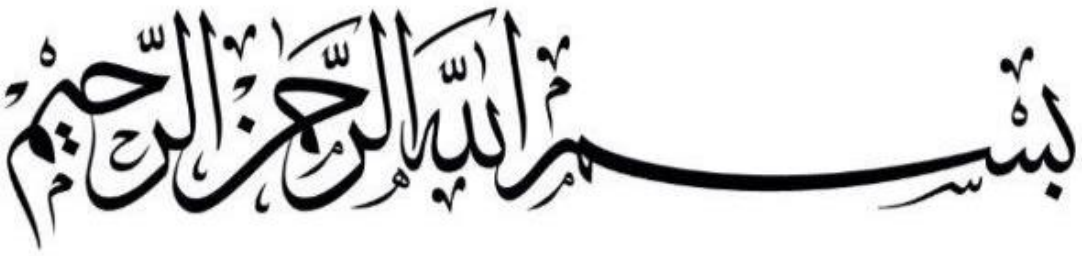
إعداد الطالب: **إشراف الأستاذ (ة):**

- هشام بن عروس **- د. سعاد ميرود**

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	المؤسسة الأصلية	الرتبة العلمية	الصفة
نورة كادي	جامعة يحي فارس	أستاذ محاضر أ	رئيسا
سعاد ميرود	جامعة يحي فارس	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا
راضية عزيزي	جامعة يحي فارس	أستاذ محاضر ب	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024


بسم الله الرحمن الرحيم

إلى والدي

إلى روح الأستاذ كمال بخوش رحمه الله

شكر وعرفان

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ سورة المجادلة: 11

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتيسر الأمور، وتُنجز الأعمال. الحمد لله أولاً وآخراً على ما منّ به من توفيق وسداد، حتى بلغ هذا العمل نهايته.

أتوجه بخالص الشكر وعظيم العرفان إلى والدي العزيز الأستاذ الفاضل مفتاح بن عروس، الذي لم يكن فقط سندي في الحياة، بل كان الداعم العلمي والمعنوي الأول في إنجاز هذا البحث. كان صبره، وتوجيهه، وتشجيعه المستمر نوراً أضاء لي الطريق في كل مراحله، فله مني كل الحب والتقدير. وأسأل الله أن يطيل في عمره وينفع بعلمه ويحفظه من كل سوء.

كما لا يفوتني في هذا المقام أن أترحم على روح أستاذي وأخي أ. د كمال نجوش، الذي واكب البدايات الأولى لهذا البحث، وكان له الأثر الكبير في توجيهي، قبل أن يوافيه الأجل. أسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته، ويجعل علمه وعمله في ميزان حسناته.

وكل الامتنان والتقدير لأستاذتي الفاضلة سعاد ميرود، التي تولّت الإشراف على هذا العمل بعد وفاة أستاذي، ورافقتني فيه بكل مسؤولية وحرص، فكانت مثالاً في التوجيه والمتابعة واللطف، فجزاها الله خير الجزاء.

كما أتقدّم بخالص الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، على قبولهم مناقشة هذا العمل، وعلى ما تفضلوا به من وقتهم وجهودهم وملاحظاتهم القيّمة، التي أعتز بها وأعتبرها إضافة علمية ثمينة.

ختاماً، شكري موصول لكل من قدّم لي دعماً أو دعاءً، ولكل من كان له بصمة في مساري العلمي، فجزاكم الله عني خير الجزاء، وجعل هذا العمل نافعاً ومباركاً.

المقدمـــــــة

المقدمة

عرفت الدراسات اللغوية منذ مطلع الستينات تطورا هاما نقلها من الاهتمام بالبحث عن أنظمة اللغات وانحصارها من ثم في الجملة إلى توسيع أفقها وتصور وجود وحدة أكبر من الجملة. وانطلاقا من هذا التحول عرفت هذه الدراسات توسعا هاما وثراء في المفاهيم. ومن جملة هذه المفاهيم **مفهوم النص** ومفهوم **نحو النص** ومفهوم **لسانيات النص**.

أما مفهوم النص فقد عرف اهتماما كبيرا من طرف اللسانيين لأنه طرح في سياق التفريق بينه وبين الجملة، ليترتب عليه فيي البداية تأسيس نحو للنص في مقابل نحو للجملة. ثم توسعت الدراسة للبحث عما يشكل ميزات جوهرية في هذه الوحدة مقارنة بالجملة، ونشأ عن ذلك مفهومان أساسيان هما الاتساق والانسجام.

وقد شكل هذان المفهومان أرضية لكثير من الدراسات اللسانية مع بداية السبعينيات، وبرز الاهتمام بمظاهر الاتساق في النصوص، وحددت مجموعة من العناصر اللغوية التي تحقق هذا الاتساق في النصوص مثل الضمائر وأسماء الإشارة والوحدات المعجمية.

ويعتبر مؤلف هاليداي ورقية حسن الموسوم: الاتساق في الانجليزية (cohesion in English) معلما بارزا في هطا المجالل لأنه عالج مسألة الاتساق في الانجليزية بشكل مفصل.

وفي مقابل هذه الدراسات التي ركزت على الاتساق النصي، برز توجه آخر يبحث عن سمة أساسية في النصوص لا يعتبر النص نصا دونها. وفي هذا السياق تطور البحث حول هذه الخاصية المحورية ليبرز مفهوم الانسجام بوصفه أحد المقومات الجوهرية للنصية.

ولئن شكل الاتساق مجالا لدراسات مفصلة مع هاليداي، فإن الانسجام عرف أيضا اهتماما كبيرا من خلال كثير من المقالات التي نشرت في مجالات كثيرة. ولكن الاهتمام

الأكثر بروزا نجده مع جان ميشال آدم (Jean Michel ADAM) وما نشره من دراسات تهتم بالنص من حيث كونه وحدة معقدة. وتشكل مؤلفاته **اللسانيات النصية** (Linguistique textuelle)، éléments de linguistique textuelle : Des genres de discours aux textes، textes types et prototypes مدونة هامة لتأسيس هذه اللسانيات التي تهتم بالنص. ويمثل مؤلفه "**اللسانيات النصية: من أجناس الخطاب إلى النصوص**" معلما هاما مثل مؤلف هاليداي، ذلك أنه اهتم بالتنظير ثم شفعه بالتطبيق من خلال تناول مجموعة من النصوص في مجالات مختلفة، وحاول أن يحللها مبرزا من خلال ذلك انسجامها.

يرتبط عملنا هذه بهذين العملين من حيث اهتمامه ببعض الوسائل اللغوية التي تسهم في نسيج النص، ولذلك اخترنا له هذا العنوان: **العائد الإشاري والعائد المعجمي ودورهما في نسيج النص– دراسة لنماذج من القرآن الكريم**. ويتأسس اختيارنا لهذا العنوان على تصور يشكل اتفاقا في الدراسات النصية على أن النص نسيج، وأن هذا النسيج يتحقق بوسائل مختلفة من بينها العناصر اللغوية. ومن هذه العناصر اللغوية أسماء الإشارة والوحدات المعجمية.

ولعل ارتباط هذين العنصرين بمدونة خاصة هي القرآن الكريم في بعض نماذجه هو الذي يسوغ لنا طرح التساؤل الآتي:

- **كيف تحقق أسماء الإشارة والوحدات المعجمية النسج في القرآن؟.**

ويتولد عن هذا التساؤل أسئلة فرعية نوجزها فيما يلي:

- **هل ينحصر دور أسماء الإشارة والوحدات المعجمية في الجانب النحوي من حيث تحديد وظيفتها في التركيب؟**
- **ما المدى الذي تتحرك فيه هذه العناصر اللغوية أي أسماء الإشارة والوحدات المعجمية في السياقات اللغوية؟.**

وقد شكل تساؤلنا وما ترتب عنه من أسئلة فرعية توجها لبناء خطة تتكون من مقدمة وثلاثة فصول. عرضنا في المقدمة المنحى العام لموضوعنا وإشكاليته، وخصصنا الفصل الأول لعرض مجموعة من المفاهيم المتعلقة بالنص وبالتحليل النصي، وعرضنا من خلال ذلك عملين هامين أحدهما لهاليداي ورقية حسن وهو "**cohesion in English**"، والثاني لجان ميشال آدم وهو " **Linguistique textuelle, Des genres de discours aux texte**". وقد شكل هذا الفصل أرضية للفصلين الثاني والثالث. فتناولنا في الفصل الثاني أسماء الإشارة ونظرنا إلى حركيتها في النص القرآني من حيث دورها في تحقيق النسج. وتناولنا في الفصل الثالث الوحدات المعجمية وتتبعنا كذلك حركيتها في نماذج من القرآن الكريم.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المنحى الذي أخذه هذا العمل هو الوصف. فقد حاولنا أن نتتبع مجموعة من النماذج استخرجناها من القرآن، وشكلت لنا مدونة اعتمد عليها وصفنا لهذه الظواهر. وقد انحصرت هذه المدونة في الربع الأخير من القرآن الكريم أي من سورة **يس** إلى سورة **الناس**، وحاولنا أن نستخرج كل العينات التي توجد فيها أسماء الإشارة أو الوحدات المعجمية التي تحقق النسج. ولم نخرج عن حدود هذه المدونة إلا قليلا حين احتجنا إلى الاستعانة بنماذج أخرى من سور أخرى.

وقد اعترضتنا صعوبات عديدة في هذا العمل من بينها تمثل المفاهيم المتعلقة بلسانيات النص ومحاولة تنزيلها على النصوص عامة والنص القرآني خاصة، وقد كان الفضل الكبير للأستاذ مفتاح بن عروس لبسط هذه المفاهيم وتبسيطها خاصة في الجان التطبيقي من خلال الشروحات التي قدمها لي في الجلسات التي خصصها لي، وكذلك من خلال الأعمال التي أنجزها وخاصة مذكرة الماجيستير ورسالة الدكتوراه، فجزاه الله عني خير الجزاء أبا وأستاذا ومربيا.

والله من وراء القصد ونسأله التوفيق والسداد والحمد لله أولا وآخرا.

الفصل الأول

مدخل مفاهيمي إلى النص وقضاياه

مدخل

سنتتبع في هذا الفصل، وبصفة مختصرة، أهم التحولات الكبرى التي عرفها الدرس اللساني. سنشير في البداية إلى دي سوسير وتأسيسه للسانيات كعلم من خلال إدراج مفاهيم جديدة أسست لهذا العلم، ونتتبع بعد ذلك التحولات التي طرأت استنادا إلى المفاهيم التي أرستها هذه اللسانيات؛ فنقف مع هاريس في محاولة خروجه من حيز الجملة إلى حيز النص، ونعرج على محاولة تطبيقية لتوسيع التحليل إلى مستوى النص مع أعمال المدرسة الشكلانية وتحليل الحكاية عند بروب بحكم استنادها إلى مفاهيم دي سوسير، وهذه المفاهيم نفسها هي التي فتحت المجال لتأسس نظرية التلفظ عند بنفينيست.

تمثل محاولة تأسيس نحو للنص في مقابل نحو للجملة نافذة كبرى للوصول إلى إرساء لسانيات للنص. وعلى هذا الأساس نقدم على الترتيب محاولة إيوالد لانغ أولا، ثم عمل جان ميشال آدم بحكم تأسيسه لمفاهيم لسانيات النص وبناء أدوات تحليل، يلي ذلك عمل هاليداي وحسن في مسائل الاتساق في الانجليزية.

1. من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص

1.1. دي سوسير ومستويات الوصف اللغوي

عرفت اللسانيات تطورا هاما مع دي سوسير، وبعدما كان الاهتمام منصبا على المحور الزمني عن طريق الدراسات التاريخية والمقارنة برز دي سوسير من خلال تقديمه مجموعة من المفاهيم اعتبرها مؤسِّسَة للسانيات كعلم. واشتهرت هذه المفاهيم بعبارة ثنائيات دي سوسير، وهي[1]:

- اللغة/كلام: فبالنسبة لسوسير تعتبر اللغة هي الموضوع الوحيد للسانيات، وهو بهذا يخرج الكلام من دائرة الوصف اللساني لأنه فردي، بينما اللغة ذات طابع جماعي.
- الآنية/الزمانية: يمكن أن ينظر إلى اللغة في تطورها مثلما كان الأمر مع الدراسات التاريخية، ونكون هنا أمام منظور زماني ويمكن أن ينظر إلى حالة نظام اللغة في زمن محدد من تاريخها ونكون هنا أمام منظور آني.
- الدال/المدلول: تتكون اللغة من أدلة تنقسم إلى دال ومدلول، وسمة هذا الدليل أنه اعتباطي وخطي ومرتب.

لقد أسست هذه المفاهيم للوصف اللساني من خلال تحديد مستوياته. فاللغة تتكون من ثلاثة مستويات تحكمها تراتيبة محددة هي المستوى الصوتي والمستوى الصرفي والمستوى التركيبي. ومن هنا اهتم الباحثون الذين تبنوا هذه المفاهيم بدراسة هذه المستويات للوصول إلى تحديد نظام اللغة المدروسة.[2]

---

[1]– Ferdinand DESAUSSURE : Cour de linguistuque générale, **TALANTIKIT, B**ejaia, 2016

[2]– تعتبر المدرسة الوظيفية خير ممثل للاهتمام بهذه المستويات وخاصة المستوى الفونولوجي والمستوى التركيبي ويكملهما الجانب الصوتي والجانب الصرفي.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن أعلى مستوى يصل إليه التحليل اللساني هو المستوى التركيبي وهذا ما جعل التحليل ينحصر في الجملة.

2.1. في مسألة التلفظ

إذا كان تمييز دي سوسير بين اللغة والكلام وجّه البحث وجهة خاصة أدت إلى وصف أنظمة اللغات، فإنها في الوقت نفسه أهملت الكلام.

لقد لفت اللساني ايميل بنفينيست الانتباه إلى أن "هناك فرقا عميقا بين اللغة كنظام من العلامات واللغة محقَّقة كممارسة من طرف الفرد. فحينما يمتلك الفرد اللغة تتحول إلى خطاب"[3]

ومن هنا فإن التمييز بين اللغة والكلام يخضع لحركة تنطلق من الكلام وتصل إلى تحديد نظام اللغة ويقف الأمر عند هذا الحد.

بينما الثنائية لغة/خطاب التي اقترحها فإنها تحول اللغة إلى خطاب، أي أنها حركة تضع هذه اللغة في الاستعمال والفعل.

لقد أضفت هذه الثنائية التي اقترحها بنفنيست نظرة جديدة أسست لما يعرف بنظرية التلفظ[4] وفتحت المجال واسعا لدراسات كثيرة.[5]

ينظر:

Gilles SIOUFFI & Dan Van RAEMDONCK :100 fiches pour comprendre la linguistique. Presses de **JOUVE**- Paris P194-195

[3] – E. BENVENISTE : Problèmes de linguistique générale. T1. Paris, Gallimard, 1966, P254-255.

[4] – هناك مجموعة من الفصول أسست لنظرية التلفظ عند بنفينيست نشرت في مؤلفه:

Problèmes de linguistique générale, T1-T2, Paris, Gallimard, 1966

أهمها:

La nature des pronoms, T1, P 251-257
De la subjectivité dans la langage , T1, P 258-266.
L’appareil formel de l’énonciation, T2, P 79-90.

3.1. التحليل البنوي للنصوص

يعود تطبيق المنهج البنوي على النصوص إلى العشرينيات، فقد اشتغلت مجموعة من المهتمين باللغة منهم شعراء ولسانيون ونقاد أدب ومهتمون بالفولكلور. وقد انصب اهتمامهم على الأثر (œuvre) في حد ذاته مبتعدين بذلك عن النقد التقليدي الذي كان سائدا في وقتهم، وتعرف هذه المجموعة بالشكلانيين الروس.

وقد أفادوا من دي سوسير من خلال ما قدمه من مفاهيم وفي مقدمتها النظر إلى اللغة باعتبارها نظاما تأليفيا مستقلا (système combinatoire autonome)، وكذلك الحال بالنسبة للشكلانيين، فالنص عندهم شكل مستقل ويُعرف هذا الشكل عندهم على أنه نظام من التعالقات الداخلية.[6]

يقدم A. FOSSION و J.P. Laurent في مؤلفهما Les lectures nouvelles, linguistique et pratiques textuelles, DE BOECK, DUCULOT, 1981 – 2ème ed المبادئ الأساسية للتحليل البنوي للنصوص وهي مستمدة من مبادئ التحليل اللساني عند اللسانيين.[7]

وهذه المبادئ هي:

---

[5] – نذكر على سبيل المثال :

A. CULIOLI : Pour une linguistique de l'énonciation, **Paris**, Ophrys, 1991
G. SERVONI : L'énonciation, **Paris**, PUF , 1987.
KERBRAT ORRECHIONI.C : L'énonciation de le subjectivité dans le langage Armand, **Colin**, 1980.

[6] – يجسد هذه الفكرة السائدة في التحليل البنوي، وهو عزل المتكلم وعدم إدراجه في الكلام، ويصبح الاهتمام منصبا على اللغة من حيث هي مجموعة من العناصر المتعالقة داخليا.

[7] – ينظر:

Les lectures nouvelles, linguistique et pratiques textuelles, **DE BOECK, DUCULOT**, 1981 – 2ème ed, P 15-18.

1.3.1. المحايثة (immanence)

وتتمثل في التخلي عن السؤال **لماذا؟** أي لماذا كتب النص بهذه الطريقة؟ الذي عادة ما يطرحه النقاد وتعويضه بالسؤال **كيف**، أي كيف تم بناء النص؟. ومن هنا ينصب الاهتمام على القوانين التي تحكم التنظيم النصي. وهذا يجسد الاهتمام بالنص من حيث هو مجموعة من العناصر المتعالقة.

2.3.1. تنظيم عناصر النص

يهتم الشكلانيون الروس بوصف جميع عناصر النص من حيث علاقاتها ببعضها، ويتم هذا من خلال تقسيم النص وتحديد مستوياته الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، ويعتبر هذا تقسيما عموديا ويتبعه تقسيم أفقي يتم فيه تحديد عناصر الأثر باعتبارها سيرورة في الزمن أو امتدادا في الفضاء مثل الجملة والفقرة والفصل ...الخ

ويسمح هذا التقسيم بتأطير النص وابراز مختلف العلاقات بين العناصر[8]

4.1. هاريس ومسألة الخطاب

نشر هاريس في مجلة Langage سنة 1952 مقالا بعنوان Discours analysis وترجمته إلى الفرنسية فرانسواز ديبوا شارليي (Françoise Dubois-Charlier) بعنوان Analyse du discours.[9]

يمثل هذا المقال نقطة تحول هامة لأنه اعتبر الخطاب موضوعا للدرس اللساني. وإذا تتبعنا هذا المقال فإننا نستطيع أن نفهم وجوه هذا التحول.

---

[8] – لأخذ نظرة عن التحليل البنوي للنصوص، يمكن الرجوع إلى مؤلف فلاديمير بروب morphologie du conte,

9- ZELLIG, S, HARRIS : Analyse du discours, Tra : Françoise Dubois-Charlier, **Langages** N°13, 1999, pp 8-45.

فقد اهتمت اللسانيات الوصفية (linguistique descriptive) بوصف الجملة باعتبارها أعلى مستوى يصل إليه التعبير اللغوي، غير أن هذا المقال أشار إلى إمكانية توسيع هذه اللسانيات الوصفية إلى ما هو أكبر من الجملة.

يقول هاريس: «يقدم هذا المقال طريقة لتحليل القول المتتالي (énoncé suivi) (المكتوب أو المنطوق) الذي نسميه الخطاب. وهي طريقة صورية لا تتأسس إلا على تواتر المورفيمات باعتبارها عناصر يمكن تمييزها. وهي لا تخضع للمعرفة التي يمكن أن تكون لدى اللساني عن المعنى الخاص لكل مورفيم».[10]

لقد أدرج هاريس في هذا المقال مجموعة من المفاهيم التي لم تكن متداولة في حقل اللسانيات الوصفية، وسنتتبع هذه المفاهيم بعرض مجموعة من السياقات الهامة فيه.

- **السياق الأول:**

«يقدم هذا المقال منهجا (طريقة) لتحليل القول المتتابع (énoncé suivi) المكتوب أو المنطوق الذي نسميه الخطاب».[11]

- **السياق الثاني**

«... بالرغم من أننا نستعمل إجراءات صورية قريبة من تلك التي تستعملها اللسانيات الوصفية (linguistique descriptive) فإننا نستطيع أن نحصل من **النص** (texte) المدروس على معلومات لا يمكن أن يوفرها نحو اللغة التي تتجسد في هذا الخطاب».[12]

- **السياق الثالث**

«... نستطيع أن نحدد **التعالقات** الخاصة لمورفيمات **النص** كما تظهر في هذا النص ومن خلال هذا نكتشف شيئا من بنيته».[13]

---

10 - ZELLIG, S, HARRIS : Analyse du discours, P 08.

[11] – نفسه ص08.

[12] – نفسه ص08.

- **السياق الرابع**

«تقف اللسانيات الوصفية عادة عند حدود الجملة، وهذا ليس نتيجة لقرار مسبق لأن الأدوات/التقنيات اللسانية بُلورت بشكل يسمح بدراسة أي قول مهما كان طوله».[14]

- **السياق الخامس**

«إن تتابع الجمل في خطاب يشكل في المقابل مجالا محبذا لمناهج اللسانيات الوصفية لأن موضوعها هو التوزيع النسبي للعناصر داخل قول متتابع».[15]

نستطيع أن نحدد مجموعة من المفاهيم من خلال السياقات التي عرضناها سابقا:

- ✓ القول المتتابع (énoncé suivi).
- ✓ الخطاب.
- ✓ النص.
- ✓ التعالقات الخاصة لمورفيمات النص.
- ✓ دراسة أي قول مهما كان طوله.

يمكن أن نستخلص مما سبق "وجود ترادف بين **الخطاب** و **النص** و **القول المتتابع** فهاريس يستعمل هذه المصطلحات للدلالة على شيء واحد"[16]

يضاف إلى ذلك أن هذه الوحدة التي هي أكبر من الجملة بتسمياتها المختلفة عند هاريس، لها **بنية** وتمثل **كلا**، وتتميز بخاصية التتابع، ومن ثم يمكننا تمثل النص/الخطاب كالآتي:

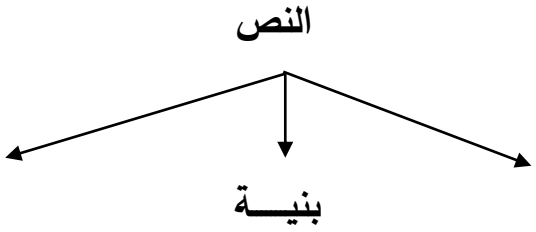
---

[13] – نفسه ص08.

[14] – نفسه ص 09.

[15] – المرجع السابق ص 11.

[16] – مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2008/2007 – ص 3.



ويمثل مفهوم **التتابع** ركيزة أساسية في التحليل عند هاريس، فهو «يؤسس لما يعرف في تاريخ التحليل اللساني بالتحليل التوزيعي (analyse distributionnelle)»[17]

ومن هنا، وبحكم مفهوم التتابع نصبح أمام توزيعين؛ أحدهما يتعلق بالعناصر المكونة للجملة، والآخر يتعلق بالجمل داخل النص/الخطاب.

ويختلف التوزيع الأول عن الثاني بإمكانية تغيير مواقع الوحدات داخل الجملة، ومثال ذلك حالة الانتقال من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول. أما ترتيب الجمل داخل النص فيتميز بالثبات ومن ثم فإن تغيير ترتيبها في نص يعني أنه أصبح نصا آخر.[18]

يحدد هذا التأطير المنهجي الخلفية التي ينطلق منها هاريس وهي التوزيع، وهو بهذا يحافظ على الاستمرارية من حيث التمسك باللسانيات الوصفية ولكن يوسعها إلى ما هو أكبر من الجملة، ولئن كانت "هذه اللسانيات عادة ما تقف عند حدود الجملة، فإنها بلورت أدوات تسمح بدراسة أي قول مهما كان طوله"[19]

---

[17] – المرجع السابق ص 3.

[18] – نفسه ص 3.

[19] –Harris : Analyse du discours, p9

يشير الباحث مفتاح بن عروس إلى "أن تركيز هاريس على توسيع مجال اللسانيات الوصفية هو وفاء من هاريس لأستاذه بلومفيلد، وهو وفاء يظهر في سياقات دفاعية كثيرة عن هذه اللسانيات الوصفية وقدرتها على تحليل ما هو أكبر من الجملة" (الاتساق والانسجام في القرآن ص1).

لقد مثلت المفاهيم التي عرضناها سابقا التأسيس المنهجي لتحليل هذه الوحدة التي أسماها الخطاب أو النص أو القول المتتابع، وانطلاقا منها حاول أن يحلل نصا إشهاريا باستعمال الأدوات التي تستعملها اللسانيات الوصفية.[20]

5.1. محاولة تأسيس نحو للنص في مقابل نحو للجملة

إذا كان هاريس قد فتح المجال لدراسة وحدة أكبر من الجملة عن طريق ما أسماه بتوسيع مجال اللسانيات الوصفية، فإن المحاولات التي جاءت بعده أسست في السبعينيات لما يُعرف **بنحو النص** استنادا إلى محاولة التفريق بين الجملة والنص وتأسيسا على هذا التفريق تتحد معالم نحو للنص في مقابل نحو للجملة.

يمثل اللساني الألماني ايوالد لانغ Ewald LANG بمقاله المترجم من الألمانية إلى الفرنسية بعنوان:

[21] Quand une grammaire de texte est-elle plus adéquate qu'une grammaire de phrase

يشير هذا الباحث في بداية مقاله إلى المفاهيم المختلفة المتداولة حول النص[22]ثم يخلص إلى تحديد أساسين بموجبهما نستطيع أن نحدد مفهوما للنص يختلف عن مفهوم الجملة، ويتمثل هذان الأساسان في:

---

[20] – لقد شكل مفهوم التوزيع الأساس لتحليل هذه المدونة التي اختارها، وجسد فيها كل مفاهيم التحليل التوزيعي من مثل: التكافؤ وأقسام التكافؤ، تواتر العناصر ... الخ

وأخذ هذا التحليل الحيز الأكبر من المقال (ينظر ص20 وما بعدها)، ويختم هذا الجزء التطبيقي بقوله: «يعطي تحليل الخطاب أيضا معلومات عن أجزاء من الخطاب أطول من الجملة، ومن هنا يظهر أن هناك علاقات بين الجمل المتتابعة، غير أن هذه العلاقات لا تظهر في بنية الجملة ولكنها توجد في مثال (schème) عناصر أقسام التكافؤ في الجمل المتتابعة». ص 45.

[21]– Ewald LANG : Quand une grammaire de texte est-elle plus adéquate qu'une grammaire de phrase ?, **Langages** N°26, 1972, P 75-80.

[22]– يقدم لانغ تصورات متداولة للنص من بينها:

- ✓ إثبات أن هناك فرقا يجب تحديده بين الجملة والنص.
- ✓ وجوب تحديد هذا الفرق بكيفية تجعل النص هو الوحدة المسؤولة عن هذه العلاقات البنوية التي تتجاوز حدود الجمل.

وبعد مناقشة هذه المفاهيم المتداولة حول النص يخلص إلى تحديد مفهوم للنص اعتبره صالحا ليؤسس عليه نحوا لهذا النص يختلف عن نحو الجملة.

يقول:

«سأعدد الآن خصائص مركب لساني أسميه "نص" تبدو لي مميزة له باعتباره وحدة "مختلفة" عن "الجملة" لأني سأستعمل "الجملة" عنصرا لذكر هذه الخصائص:

إن دلالة نص (أو المعلومات التي يقدمها هي أكبر من مجموع دلالات الجمل المكونة له. وهذه الإضافة في الدلالة ترتبط بالخصائص الآتية:

- النص هو الإطار الذي يزول داخله لبس/إبهام الجمل.
- النص يحتوي على افتراضات واقتضاءات غير افتراضات واقتضاءات الجمل المكونة.
- للنص إمكانية أخرى لإعادة الصياغة غير الإمكانيات التي للجملة (إمكانية الحصول على ملخصات عديدة للنص الواحد).[23]

النص 1: نجد غالبا كلمة "نص" مستعملة للدلالة على شكل لغوي ذي تعقيد معين، وتكون الجملة في هذه الحالة هي مقياس هذا التعقيد الذي يمكن أن يصل إلى حدود الرواية.

النص 2: قد يراد في خطاب ما (بالمعنى الواسع للسيميولوجيا وليس للسانيات فقط) التمييز بين المادة اللغوية التي نسميها "النص" والمادة غير اللغوية التي تؤدي أيضا وظيفة دالة (مثلا شكل إشارة المرور ولونها بجانب كلمة "قف" أو الموسيقى بجانب كلمات الأغنية).

النص 3: يدل النص أيضا على شكل أو كيفية وجود العناصر اللغوية في فعل التواصل.

[23] – المرجع السابق ص 78، وينظر كذلك: الاتساق والانسجام في القرآن بالنسبة للترجمة ص4–5.

يشير مفتاح بن عروس معلقا على هذا التحديد الذي قدمه لانغ إلى أن «ما يهم هنا هو مفهوم الترابط بين الجمل التي يستند إليه رفع اللبس، وهو مفهوم يعكس ما أشرنا إليه عند هاريس سابقا وهو أن النص **كل**. فكل جملة تتحدد دلالتها (برفع اللبس عنها) بالنظر إلى غيرها من الجمل وهذا ما يعكسه مفهوم التبعية».[24]

وقد بدأ يتبلور مع نهاية الستينيات توجه قوي نحو مستوى أكبر من الجملة نراه مع فان دايك في مؤلفه some aspects of text grammar [25]، وتوالت الدراسات بعد ذلك متناولة هذه الوحدة (أي النص) إما بمحاولة ضبط حدودها أو تحديد خصائصها، أو المزاوجة بين محاولة تحديدها والاستناد إلى هذا التحديد لبناء أدوات تحليل.

2. معالم لسانيات النص

1.2. جان مشال آدم وتشكل النص

يعتبر اللساني جان ميشال آدم (Jean Michel ADAM) من أكبر اللسانيين الذين اهتموا بالنص، وقدم مجموعة من الأعمال أسس من خلالها معالم لسانيات للنص.[26]

---

[24] – الاتساق والانسجام في القرآن، ص 5.

[25] – يشير مفتاح بن عروس إلى أن مفهوم البنية الكبرى الذي ورد عند فان دايك قد فتح المجال لدراسات عديدة منها:

- J. M.ADAM : Pour une analyse macro-textuelle du CONTE DE GRAAL, **Pratiques** N9, METZ 76.
- Mateo, FALCONE (I) : Pour une analyse macro-textuelle, **Pratiques** N9.

ومهد لظهور مفهوم قاعدة النص (base de texte) الذي استغل استغلالا هاما لتحديد البنية الكبرى للنص كما يظهر ذلك جليا في المقال المشترك بين فان دايك ووالتر كينتش (Walter KINTSCH) المنشور في مجلة 40 **Langages** والموسوم بـ: كيف نتذكر الحكايات ونلخصها؟

Comment on se rappelle et on résume des histoires ?.

[26] – قدم جان ميشال آدم مجموعة من الأعمال تباعا نذكر منها:

- Éléments de linguistique textuelle, Liège, Mardaga. 1990.
- Les textes : types et prototypes, Paris, Nathan. 1992.

ويمثل مؤلفه **اللسانيات النصية: من أجناس الخطاب إلى النصوص (** linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes, Nathan, 1999**)** محصلة هامة أعطى فيها صورة عن مسار الدراسات التي اهتمت بالنص، وعرض في المقدمة مجموعة من الأعمال رسم بها هذا المسار[27]. وقد ختم هذا العرض بإشارة هامة للسانيات النص التي يشتغل عليها، يقول: «بالنسبة للسانيات التي اشتغل عليها منذ عشر سنوات فإن النص يتكون من تآلف وبناء (combinaison- composition) عناصر أولية، ويتعلق الأمر بوصف بناء النص (une compositionalité) مع ضرورة مقاربته مع مستويات تنظيمه وتعقيداته والتنظير له ».[28]

- Linguistique textuelle : des genres de discours aux textes, Nathan 1999.
- Pour une analyse textuelle : l'exemple du conte du Graal, **Pratiques** N° 9, Metz, 1976.
- Ordre du texte, ordre du discours, **Pratiques** N° 13, Metz, 1977.
- La cohésion des séquences de propositions dans la macro- structure narrative, **Langue Française** N° 38, Larousse, 1978.

[27]– ينظر العرض الذي قدمه في المقدمة

[28] – يشير آدم إلى أن «لسانيات النص لا ترى أن هذين المستويين من التنظيم هما المحددان والمتحكمان الوحيدان في الوحدة التفاعلية المعقدة والمنفردة التي هي النص. فمن غير الممكن اختزال المنتوجات النصية للممارسات الخطابية للأفراد – التي نسميها النصوص – لمثل هذا التنظيم من حيث هو موضوع مجرد (Objet abstrait) لنظرية **النص** وبعبارة أخرى، فبالإضافة إلى القيود العامة التي توجه الجمل إلى النص يجب إضافة قيود أخرى تتعلق بالتفاعل الآني مع معالمه المقامية والنفسية والاجتماعية، وتتعلق باللغة المختارة وتتعلق كذلك بالأجناس الخطابية (genres discursifs)».ص 18.

تقدم هذه الإشارة صورة عن تصور آدم للعلاقة بين لسانيات النص وتحليل الخطاب. وقد بسط هذه المسألة وقدم لها مجموعة من الخطاطات (schémas) من خلال تخصيص عنوان فرعي أسماه position de la linguistique textuelle dans l'analyse des discours.

ثم يقدم صورة هذا التشكل فنجد «تشكل في المستوى الأدنى يتحقق فيه وضع الجمل (propositions) في حزم وتسمى هذه الحزم أدوارا ومقاطع (périodes et séquences).

ثم هناك تشكل في مستوى نصي ينتهي إلى تحديد مخططات نصوص (des plans de textes) معقدة إلى حد ما، سنكتفي عند حدود هاتين النقطتين انطلاقا من اهتمامنا في عملنا بالعائد الإشاري والعائد المعجمي ودورهما في نسيج النص باعتبار ما يتحقق بهما من علاقات نصية.

2.2. مهـــام لسانيات النص

تتمثل مهمة لسانيات النص الأولى في تحديد الأنواع الكبرى من العلاقات التي تسمح بإرساء هذه الترابطات التي تتحقق في مسافات طويلة وتتجاوز حدود الوقائع النحوية التي تتحقق في الجملة.

غير أنه لا يمكن «إهمال الوقائع كلية، ولها أهميتها الخاصة في مستواها ولكن لا يمكن اعتبارها مفاهيم أساسية وملائمة فيما يتعلق بانسجام النص».[29]

قد يحصل أحيانا أن توجد عناصر تعمل داخل الجملة وخارجها، ومن ثم فهي تنتمي تارة إلى المستوى النحوي وتارة إلى المستوى النصي مثال ذلك حروف العطف من حيث تحقيقها لعلاقة بين عناصر داخل الجملة وعلاقة خارج الجملة وكذلك الحال بالنسبة للضمائر.[30]

يشير آدم في هذا الصدد إلى أن ميشال شارول وبرنار كومبيت كانا من الأوائل الذين أدرجوا لسانيات النص في مسار تحديد العناصر المحققة لعلاقات نصية.

يحدد هذان الباحثان خمسة أقسام من هذه العناصر وهي:

---

[29] – جان ميشال آدم ص 44.

[30] – يعالج مفتاح بن عروس هذه المسألة في بحثه الموسوم **الاتساق والانسجام في القرآن** في الفصل الخاص بالضمائر وتقسيمها بحسب الإحالة السياقية أو الإحالة المقامية.

- **الواصلات:** وهي عناصر لغوية تسمح بتحديد العلاقات المنطقية التي تنشأ بين الجمل مثل: لأن، إذن، بحيث، .... الخ.
- **العناصر العائدية:** مثل ضمير الغائب والوحدات المنتقلة من النكرة إلى المعرفة.
- **مواقع الموضوع والمحمول:** وقد تم استغلال البحوث التي أُنجزت في إطار مدرسة براغ فيما يتعلق بالديناميكية التبليغية. فالجملة تنقسم من المنظور الوظيفي إلى موضوع ومحمول. وفي سيرورة النص تحدث حركة تتحول فيها العناصر بالتتابع بحيث يصبح المحمول موضوعا أو تنشأ العلاقات بين سلاسل الجمل من خلال موضوع ثابت يُضاف إليه كل مرة محمول جديد.[31]
- **الإشاريات:** وهي عناصر تحدد في إطار الخطاب ومنها الوحدات الدالة على المتكلم والمخاطب، والوحدات الدالة على المكان والزمان.
- **العلامات الدالة على تجزئة النص:** مثل علامات الفقرات

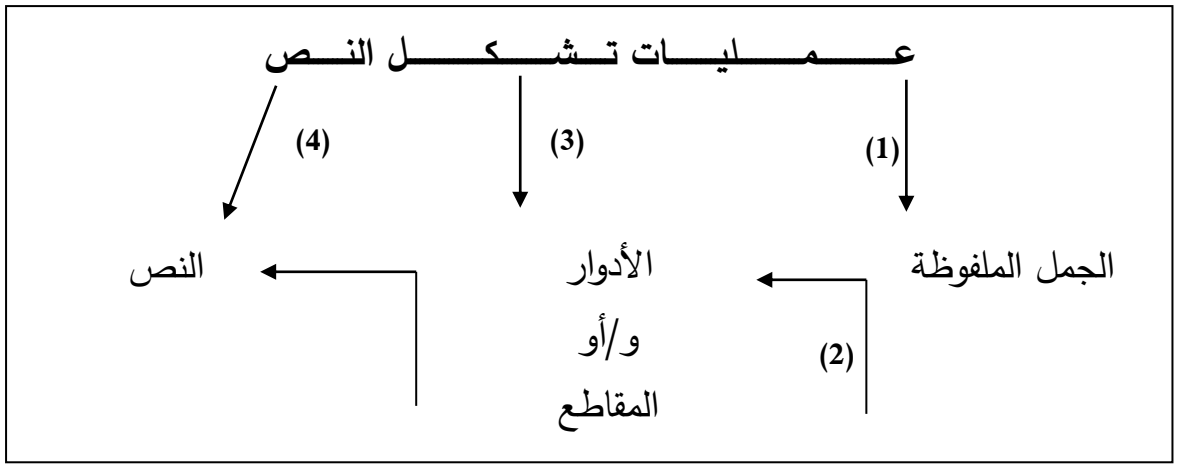
واستنادا إلى المعطيات السابقة، تتكفل لسانيات النص من حيث مهمتها الثانية بأن تدرس كيفية تفاعل هذه الأقسام مع بعضها، وتسعى لتفسيرها ونمذجتها.[32] واستنادا إليها يقترح آدم مقاربة للنص ينطلق فيها من تحديد الوحدة القاعدية التي يبدأ منها تشكل النص، ويتتبع هذا التشكل من خلال تقديم خطاطة يبرز مختلف المستويات التي يندرج فيها.[33]

---

[31] – عالج مفتاح بن عروس مسألة التدرج (progression) في النصوص انطلاقا من مفاهيم مدرسة براغ وعرض مجموعة من نماذج التدرج مثل التدرج الخطي والتدرج بموضوع ثابت والتدرج بمواضيع مشتقة. لتوسع أكثر ينظر ص 61 وما بعدها.

[32] – جان ميشال آدم ص 47.

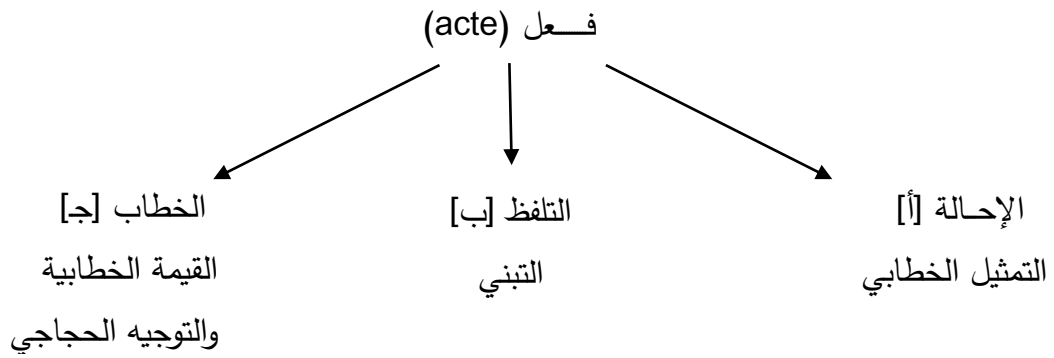
[33] – نفسه ص 48.



يسمي ميشال آدم الوحدة القاعدية الجملة الملفوظة (proposition énoncée) ويبرز هذه التسمية من حيث إن الأمر يتعلق بوحدة ناتجة عن فعل تلفظ (acte d'énonciation) من جهة، وهي وحدة متصلة من حيث اندراجها في سياق وعلى هذا الأساس فكل جملة تتضمن ثلاثة أبعاد متكاملة، وبهذا المعنى فلا وجود لجملة معزولة وإن ظهرت لوحدها، فهي إما جواب لجملة أو عدة جمل أو تستدعي جملة أو عدة جمل.

وعلى هذا الأساس يمكن تمثيلها بالشكل الآتي:

الجملة الملفوظة (proposition énoncée) [34]



[34] – المرجع السابق ص 50.

يمثل فعل الإحالة فضاء دلاليا من حيث إنه يقدم موضوعا للخطاب يتجلى في بنية الجملة من حيث طرحها لموضوع في صدارتها ثم يأتي الفعل ليقول شيئا عن هذا الموضوع.[35]

وأما فعل التلفظ فإنه يحدد درجة العلاقة التي تربط المتكلم بملفوظه وهناك عناصر كثيرة تبين هذه العلاقة من بينها:

- ظواهر تعدد الأصوات وتحدد من خلالها طبيعة العلاقة بين المتلفظ وملفوظه، فقد يتبنى المتكلم حقيقة الجمل التي ينتجها.
- أنواع الخطابات المنقولة مثل الخطاب المباشر، الخطاب غير المباشر، الخطاب المسرود، ... الخ.
- علامات الأشخاص مثل الضمائر والأعلام ... الخ.
- الإشاريات المكانية والزمانية وهي عناصر تشير إلى المقام الذي أنتج فيه الملفوظ ومثال ذلك الوحدات الدالة على الزمن "بالأمس، الآن، غدا،..." والوحدات الدالة على المكان مثل "هنا"،

وقد تكون هذه الوحدات عبارات بأكملها مثل"بعد عشر دقائق..." بالإضافة إلى أزمنة الأفعال والصيغ المختلفة للملفوظات مثل الإثبات والنفي والحقيقة والخيال والتعجب.[36]

---

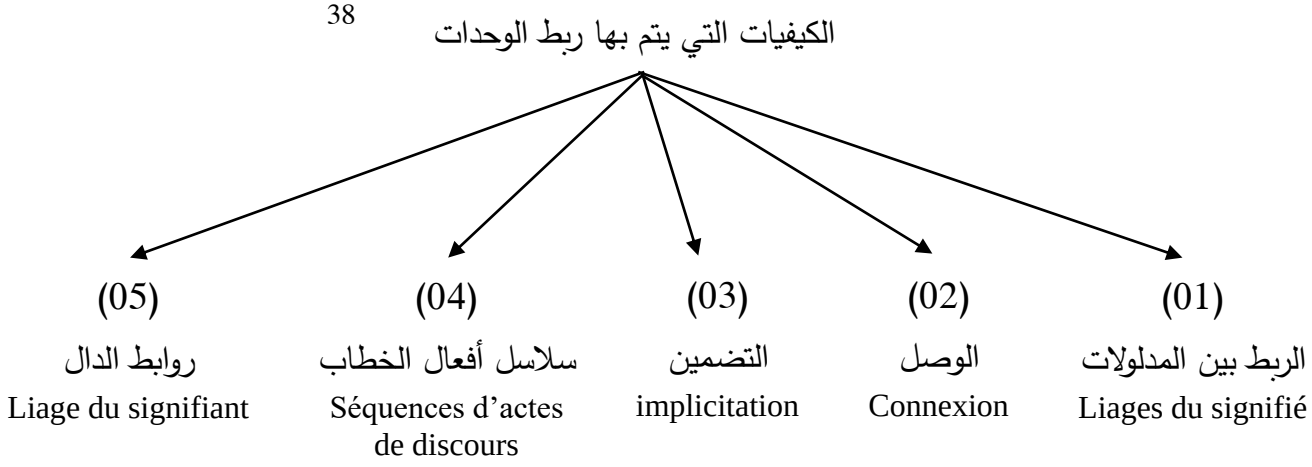
[35] – يرتبط هذا بالبنية الخطية للجملة في الفرنسية من حيث إنها تبدأ باسم ثم يليه الفعل، ويصبح الاسم هو الموضوع (موضوع الحديث) والفعل هو ما يقال عن هذا الموضوع. وقد عالج مفتاح بن عروس هذه المسألة في الجانب الخاص بالتدرج، ويلفت النظر إلى إشارة طريفة عند ابن السراج في مسألة المبتدأ والخبر. يقول ابن السراج: «والمبتدأ يُبتدأ فيه بالاسم **المحدث عنه** قبل الحديث. وكذلك حكم كل مخبر والفرق بينه وبين الفاعل أن الفاعل يُبتدَأ بالحديث قبله، ألا ترى أنك إذا قلت "زيد منطلق" فإنما بدأت "بزيد" وهو الذي تحدثت عنه بالانطلاق والحديث عنه بعده. وإذا قلت "ينطلق زيد" فقد بدأت بالحديث وهو انطلاقه ثم ذكرت زيدا المحدث عنه بالانطلاق بعد أن ذكرت الحديث". ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن، ص 66.

أما بالنسبة للقيمة الخطابية والتوجيه الحجاجي فيتم فيها الاهتمام بالعناصر التي تحدد القيمة الخطابية للأفعال الفرعية المباشرة وغير المباشرة.[37]

3.2. أنواع العلاقات التي تنشأ بين الوحدات القاعدية

بعد تحديد مكونات الملفوظ باعتباره فعلا ينتقل إلى النظر في الكيفيات التي يتم بها ربط الوحدات القاعدية ويشير إلى أن هناك عمليات متعددة يتم بواسطتها جمع هذه الوحدات في حزم أو مجموعات يسميها (empaquetage) ويحدد خمسة أنواع من هذه الروابط تنشأ عنها وحدات أكبر يسميها الأدوار (Périodes).

[38]



يتعلق الأمر في (01) بمسألة الاستمرارية الإحالية (continuité référentielle)، وتتحقق هذه الاستمرارية عن طريق الضمائر العائدة وبعض العناصر الأخرى التي تسمح للنص بالتماسك والتدرج.[39]

---

[36] – المرجع السابق ص51.

[37] – نفسه ص 52.

[38] – نفسه ص 54.

[39]– حظيت مسألة الاستمرارية باهتمام كثير من الدارسين، وقد نشرت فيها عدة دراسات تتبعت هذه العناصر التي تحقق هذه الاستمرارية منها على سبيل المثال لا الحصر:

COMBETTES. B : Ordre des éléments de la phrase et linguistique textuelle, **Pratiques** 13, Metz, 1977.

يمثل التشاكل (isotopie) صورة من صور الاستمرارية من حيث تعلقه بالمواضيع التي يتضمنها النص. وتتحدد هذه المواضيع عن طريق هذه التشاكلات من خلال هذه الاستمرارية الإحالية، ويقدم **آدم** تعريفا هاما **لغريماس** يحدد من خلاله مفهوم انسجام النص: «إن وجود الخطاب – وليس مجموعة من الجمل المستقلة – لا يمكن إثباته إلا إذا استطعنا أن نصنع من الجمل التي تكونه تشاكلا (isotopie) نتلمسه من خلال شبكة من العناصر اللغوية عبر طول تشكله».

ويساهم **فضاء الخطاب** (Univers du discours) في إعطاء الجمل معناها ويربطها ببعضها. وهناك عبارات عديدة تسمح بتحديد هذا الفضاء منها مثلا "في بداية هذا القرن، حسب ...."

أما بالنسبة للواصلات والمنظمات (connecteurs et organisateurs) فيتعلق الأمر بعناصر تنظم مثل الوحدات الدالة على الزمن كـ "بعد ..."، وعناصر تنظم المحادثة مثل "حينئذ" أو علامات الإدراج الخطي مثل "من جهة، من جهة أخرى، أولا، ثم، في النهاية..."

والعناصر المدرجة لإعادة الصياغة (reformulation) مثل "باختصار، وفي الجملة، وفي نهاية الأمر..."

أو يتعلق بعناصر تحقق الوصل وهي مثل المنظمات تسمح بتجزئة النص، وتستطيع تحديد عناصر من المستوى الأدنى داخل الجملة إلى مستوى ما بين الجمل من خلال تقسيم الجمل ووصلها ببعضها إلى المستوى النصي من خلال تقسيم الخطط (les plans) وربطها ببعضها.

CORBLIN, F : Défini et démonstratif dans la reprise immédiate, **Le Français moderne** 51, 1983.

SLAKTA, D : L'ordre du texte. **Etudes de linguistique appliquée** 19, Paris, Didier 1975.

غير أن الواصلات تختلف عن المنظمات من حيث إنها توجه السلسلة الكلامية حجاجيا من خلال معالجة المحتوى القضوي إما باعتباره حجة أو باعتباره نتيجة أو باعتباره حجة عاضدة لاستنتاج أو حجة معارضة.

وبالنسبة للتضمينات فإن الأمر يتعلق بالاقتضاءات والتضمينات (sous-entendus).

وفيما يتعلق بسلاسل أفعال الخطاب فإنه يمكن اعتبار النص سلسلة من الأفعال الخطابية تتجاوز تتابع الجمل وتهيكل النص في ديناميكيته. ويستشهد آدم في هذا السياق بمقولة فهفيجر: «تبين التحاليل الفعلية أن الأفعال الخطابية التي تشكل النص تمثل تراتبيات خطابية مع فعل خطابي مهيمن مؤسس بواسطة أفعال خطابية فرعية مرتبطة بهذا الفعل المهيمن من خلال علاقات ترتبط طبيعتها بالوظائف التي تؤديها بالنسبة لهذا الفعل المهيمن».

أما بالنسبة لروابط الدال فيتعلق الأمر هنا بروابط شكلية نغمية/إيقاعية في عدة مستويات من التعقيد مثل: تكرار الأصوات، تكرار المقاطع بنفس الكمية، التكرار المعجمي، التكرار التركيبي، وتظهر هذه الروابط كثيرا في النصوص الشعرية.

1.2.2. الأدوار والمقاطع

تُحقق العناصر التي عرضناها سابقا العلاقات بين الوحدات القاعدية التي هي الجمل الملفوظة، ونكون بذلك في المستوى الثاني؛ يتكون هذا المستوى من نوعين من المجموعات يسمى إحداهما الأدوار (Périodes) وتسمى الأخرى المقاطع (Séquences).

- **الأدوار (Périodes):** يعرف آدم الأدوار بأنها مجموعة "من الوحدات النصية غير المنمطة"[40] وتنتج من ترابط مجموعة من الجمل. وتتشكل هذه الأدوار في

[40]- آدم- ص 61.

صورتين، فهي إما عبارة عن مجموعة من الجمل يحكمها إيقاع معين بواسطة تكرار وحدات معينة كالأصوات أو الوحدات المعجمية أو المركبات، أو عبارة عن مجموعة منفصلة تحكمها عناصر منظمة أو واصلات (connecteurs).

- **المقاطع (Séquences):** يحدد المقطع عند آدم بأنه مجموعة من الوحدات النصية المنمطة أي أنها محكومة بنمط معين. ويشير إلى أن جمع هذه الجمل تحكمه خمسة مقاطع أساسية هي:
  - ✓ المقطع السردي (séquence narrative).
  - ✓ المقطع الوصفي (séquence descriptive).
  - ✓ المقطع الحجاجي (séquence argumentative).
  - ✓ المقطع الشارح (séquence explicative).
  - ✓ المقطع الحواري (séquence dialogale).

2.2.2. تشكل النصوص

بعدما تتماسك الوحدات القاعدية تتشكل الأدوار والمقاطع ثم يأتي مستوى أعلى هو المستوى النصي حيث تترابط فيه سلسلة من الأدوار أو المقاطع فيما بينها ليتشكل النص. ويكون بذلك النص من جهة «سلسلة خطية من الأجزاء (فقرات عبارة عن أدوار أو مقاطع)، ولكنه من جهة أخرى هو كلٌّ معنوي وتداولي». ونكون بذلك أمام بنية تأليفية/تركيبية (une structure compositionnelle) ووحدة تكوينية (unité configurationnelle).

وعلى هذا الأساس نكون أمام نوعين من الربط:

يقدم آدم مجموعة من التعريفات التي أعطيت للدور (période)، ويقارن بينها وبين التعريف المعطى للجملة من حيث إنها تبدأ بحرف كبير (majuscule) وتنتهي بنقطة. ليخرج إلى خلاصة مفادها أن الدور يحكمه النغم وقد يتجاوز حدود الجملة التقليدية كما يعرفها النحاة.

- ربط تأليفي Liage compositionnelle:

هناك نوعان من العمليات التأليفية (compositionnelle) تترابط فيما بينها تؤدي إلى تشكل وحدة باعتبارها نصا وتسمح بالتعرف عليها. هاتان العمليتان هما:

- ✓ التخطيط (planification): «وهو تشكل نصي عام تحكمه أجناس أو أجناس فرعية– وهو عملية تنازلية – تنتهي إلى خطط نصية (plans de texte) ثانية (متفق عليها وتخضع لمعايير)».
- ✓ البناء /الهيكلة structuration: وهي تشكل نصي "تصاعدي" يستند إلى وحدات المستوى الأدنى مثل الجمل والأدوار والمقاطع للوصول إلى خطة نص مؤقتة (خاصة بنص ما)[41]

- ربط تمثيلي (Liage configurationnel):

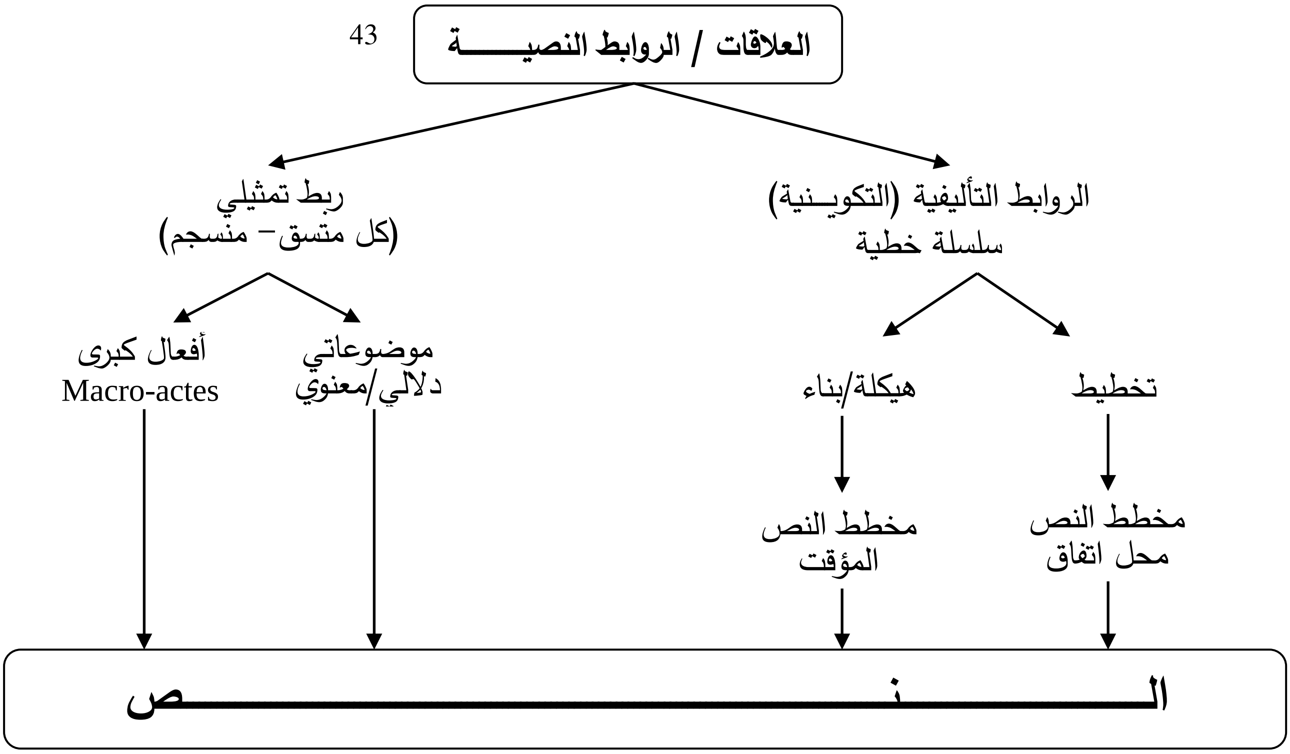
هذا النوع من الربط ليست له علاقة بالجانب الخطي للوحدات النصية المتتابعة، ولكنه يرتبط بالفهم العام للنص. فالنص يمكن تلخيصه بواسطة عنوان أو بواسطة جملة. ويمثل هذا الصورة الأولى له. ولكن فهم النص هو أيضا القدرة على إعطاء جواب عن السؤال: لماذا؟ ما الهدف من هذا؟ ما الوجهة الحجاجية لهذا النص؟[42]

يلخص آدم التفاصيل السابقة المتعلقة بالعلاقات النصية في الخطاطة الآتية:

---

[41]– نفسه ص 68.

[42] – نفسه ص 79.



4.2. هاليداي ومسألة الاتساق

مدخل

عالج هاليداي ورقية حسن مسألة الاتساق بصفة شمولية ومنتظمة في مؤلف هام عنوانه **الاتساق في الانجليزية Cohesion in English** (1976). ويمثل هذا الكتاب دراسة تهدف إلى معرفة ما يفرق بين **النص** – أي الوحدة الدلالية – التداولية – وبين مجرد مجموعة من الجمل لا رابط بينها. ومن هذا المنظور فهو إسهام هام في لسانيات النص، وهو في الوقت نفسه دراسة لسانية مفصلة لنسيج النص في اللغة الانجليزية.

ولعل أهم ما يمكن الإشارة إليه هو مجموعة من القضايا من بينها مفهوم النص، وكذلك العناصر التي تحقق العلاقات النصية المحققة للاتساق.

---

[43] – نفسه ص 68.

1.4.2. مفهـــوم النص

يعتبر هاليداي ورقية حسن النص وحدة في الاستعمال، وبهذا المعنى فهو وحدة وظيفية بالأساس ومن ثم تختلف نظرة هذين الباحثين عن النظرة التي ترى أن النص كيان من طبيعة تشبه طبيعة الجملة ولكنه من مستوى آخر فهو جملة – كبرى. [44]

ومن هنا يرى هاليداي وحسن أن هناك فرقا كبيرا بين النسيج (texture) الذي هو خاصية مكونة للنصوص وبين البنية (structure) من حيث هي خاصية شكلية للجمل ، وبالتالي لا يمكن اختزال التمييز بين النص والجملة في مجرد الفرق في الحجم. وبما أن النص هو وحدة دلالية ووظيفية فهو لا يتكون من جمل بل يتحقق بها. وعلى هذا الأساس لا وجود لحد أدنى و لا لحد أقصى للنص، فيمكن أن يكون النص كلمة واحدة أو عبارة أو جملة أو رواية أو محادثة أو تقريرا.[45]

وبهذا المعنى، فإن المتكلم له القدرة على أن ينتج نصوصا ويستقبل نصوصا ويتعرف عليها، ومن ثم فالنص يندرج ضمن مهاراتنا اللغوية.

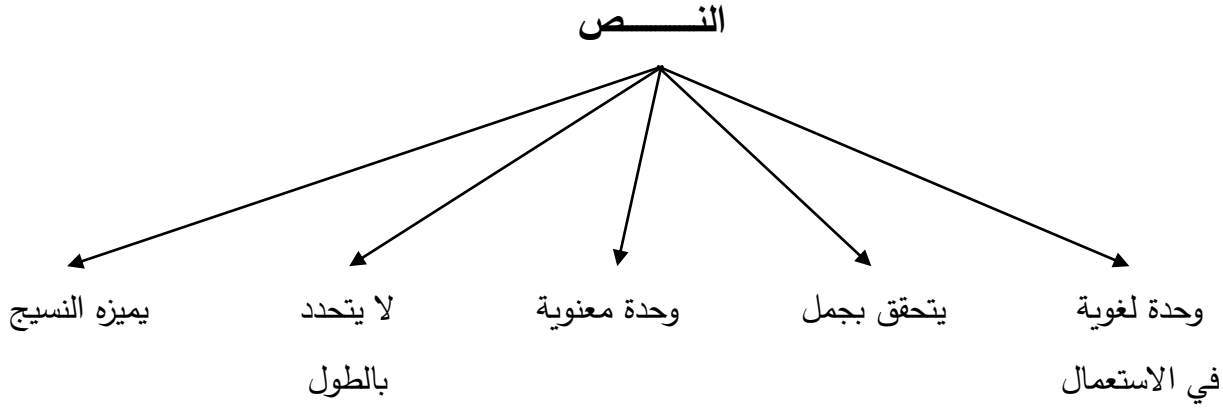
يلخص مفتاح بن عروس هذا التصور في الشكل الآتي: [46]

---

[44] – M.A.K. HALLIDAY & HASSAN : Cohesion in English, Longinan group Ltd, 1983, P 2.

[45] – «ليس النص مجرد سلسلة من الجمل (string of sentences) وبعبارة أخرى، لا يتعلق الأمر بوحدة نحوية كبرى ولا بشيء من نفس الطبيعة كالجملة، ولا يختلف إلا من حيث الطول – أي جملة كبرى (super sentence) ولا يمكن أن ينظر إلى النص على أنه وحدة نحوية ولكنه وحدة من نوع آخر. إنه وحدة معنوية، ووحدته هي وحدة معنوية في السياق، إنه نسيج يعبر عن كليته، ويرتبط بالسياق الذي يندرج فيه». Cohesion in English ص2، وقد استلهمنا الترجمة من رسالة الدكتوراه للباحث مفتاح بن عروس ص 198.

[46] – الاتساق والانسجام في القرآن. ص 199.



1.1.4.2. العلاقة بين النص والمقام

يشير هاليداي وحسن إلى أن النص ينتج دائما في سياق مقامي، وهذا السياق المقامي لا يؤخذ بصفة مطلقة، ولا يمكن أن يكون له قيمة عملية ولا يأخذ معناه إلا بقصره على ما يربطه بالنص، أي ما يربطه بالعوامل التي يمكن أن تؤثر في الاختيارات التي يقوم بها المتكلم أو الكاتب حين يشرع في عملية إنتاج النص. وبهذا المعنى فإن المقام لا يسبق النص وإنما يمثل بعدا مكوّنا لمحتوى النص.

وعلى هذا الأساس فإن الأمر يتطلب من الناحية النظرية تزويد الباحث بأدوات مفاهيمية تسمح له بتحليل هذه العلاقة بين النص والمقام. ويقترح الباحثان لتحقيق هذا، أن يتم التمييز في كل مقام ثلاثة أبعاد يسميانها: المجال (field)، والشكل (mode)، وإطار النص (Tenor).

فالمجال يتعلق بالنشاط الذي يكون إنتاج النص مكونا له، ويتضمن في نفس الوقت محتوى النشاط والحدث الذي تتدخل فيه اللغة في إطاره.

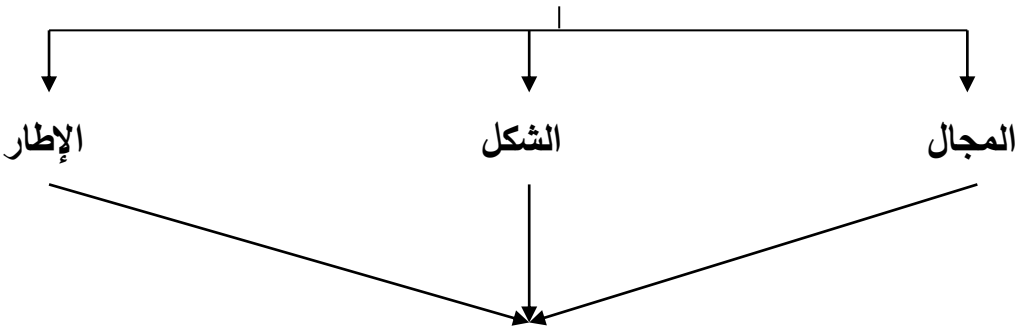
أما الشكل (mode)، فله علاقة بعمل النص، ويتضمن طبيعة القناة (منطوق أو مكتوب) وكذلك نوع النص (تعليمي، سردي، حجاجي، تواصلي ... الخ).

أما بالنسبة لإطار النص (Tenor). فإنه يشير إلى الأدوار المؤسسة بين المتكلم والسامع وطبيعة العلاقة الاجتماعية (مثل العلاقة بين الأستاذ والطالب، والطبيب والمريض ...الخ).

تعتبر هذه الخصائص بنية سيميائية للمقام، وكلما توفرت حققت ما يسميه هاليداي وحسن مستوى التعبير ومن ثم نكون أمام أول عامل يضمن لإنتاج لغوي ما صفة النص فيه.

ويمكن تمثيل هذا بالشكل الآتي:

البنية السيميائية للمقام [47]



2.1.4.2. العلاقات النصية الداخلية

إذا كانت العناصر السابقة لتحقق للنص علاقته بالخارج، فإن هناك علاقة أخرى تتم داخل النص. فلا يمكن لسلسلة من الجمل أن تشكل نصا إلا إذا كان هناك عناصر دلالية وإحالية تتوزع في الجمل لتحقق الاستمرارية أو ما يسميه هاليداي وحسن **الاتساق** (cohesion).

[47] – ينظر الاتساق والانسجام في القرآن، ص 201.

وتمتلك اللغات وسائل متعددة لتحقيق الاتساق. ويمثل العائد (anaphore)[48] وسيلة من هذه الوسائل. ونكون حينئذ أمام علاقة اتساقية كلما ارتبط تأويل عنصر بعنصر آخر في النص.

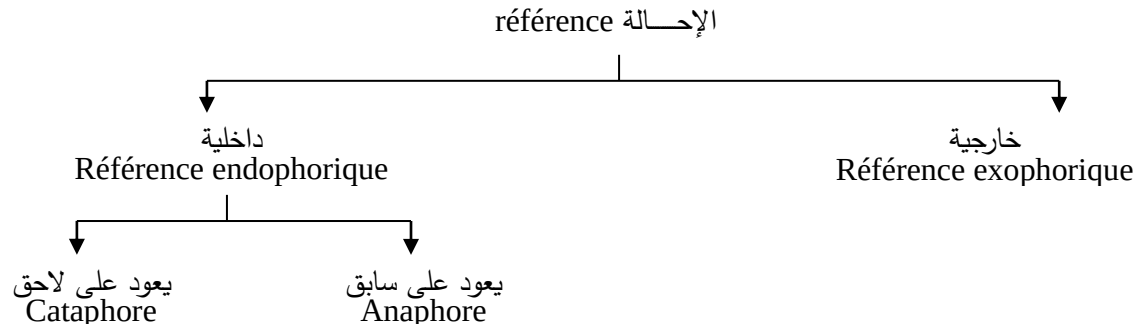
ومن هنا فمفهوم الاتساق يرتبط بمفهوم العلاقة وبمفهوم الاتجاه. فالعائد يحقق العلاقة من حيث إنه يرتبط بعنصر آخر، وفي نفس الوقت يحدد اتجاه هذه العلاقة من حيث عودته على عنصر سابق.[49]

ويعتبر هاليداي وحسن أن مستوى التعبير والاتساق هما خاصيتان متكاملتان في كل نص. فلا يمكن وصف إنتاج لغوي بأنه نص إلا إذا كان مستواه ثريا (consistant).

---

[48]– كل الدراسات النصية اهتمت بالعائد من حيث هو محقق لعلاقة اتساقية. ويكفي النظر في المراجع المختلفة باللغة الفرنسية والانجليزية والعربية لأخذ صورة عن هذه الظاهرة تحت تسمية anaphora, anaphore العائد.

[49] – ينظر التصنيف الذي قدمه ميشال مايار (Michel MAILLARD) للعناصر الإحالية. إذ قسمها إلى عناصر تحيل على الخارج وعناصر تحيل على الداخل، ثم قسمت العناصر التي تحيل على الداخل إلى عناصر محيلة على عنصر سابق ويسميها anaphore وعناصر تحيل على عنصر لاحق ويسميها cataphore. ونكون بذلك أمام صورتين للإحالة:



للتوسع أكثر ينظر:

M. MAILLARD:
- Essai de typologie des substituts diaphoriques, **Langue Française N°21,** Larousse 1974.
- Anaphores et cataphores, **Communication** 19, Seuil 1972.

1.2.4.2. بين النسيج والبنية

أشرنا سابقا إلى تعريف هاليداي وحسن إلى النص والجملة، فهما لا يختلفان من حيث الطول فقط ولكنهما يختلفان من حيث الطبيعة أيضا. وإذا كان من الممكن أن توصف الجملة بالاتساق فإن هذا يعود أساسا إلى البنية، أي إلى العلاقات التركيبية. ومن هنا فإن النصوص التي تتكون من جملة واحدة يعود اتساقها أساسا إلى بنيتها.

غير أن الأمر يختلف حينما يتعلق الأمر بالنص، فالعلاقات التي تنسج تتجاوز المستوى التركيبي، وتترابط العناصر حينئذ دلاليا وهذا ما يحقق الاتساق.

إن إشارة هاليداي وحسن إلى أن النص ليس وحدة بنوية يعني أن الاتساق هو أيضا ليس علاقة بنوية، بل هو علاقة دلالية تنشأ بين العناصر الموزعة في جمل متعددة. ويحقق هذه العلاقة العائد (anaphore) باعتباره ارتباط عنصر في جملة بعنصر أو عناصر أخرى في جملة أو جمل أخرى.

وبهذ المعنى «لايمكن لمجموعة من الجمل أن تشكل نصا إلا إذا كانت مجموعة من العناصر الدلالية والإحالية مستمرة من جملة إلى أخرى محققة بذلك لمجموع هذه الجمل حدا أدنى من الاستمرارية، أو بعبارة أخرى تحقق الاتساق».[50]

ويلفت الانتباه الباحث مفتاح بن عروس إلى فرق أساسي بين البنية والاتساق «فإذا كانت البنية تتميز بالثبات فإن الاتساق يتميز بالتغير».[51] ومن هنا يؤسس هاليداي وحسن مسألة التفريق بين النصوص. فجمل النص تتحد من حيث البنية مهما كان عددها، لكنها تختلف من حيث العلاقات الاتساقية التي تنشأ بين هذه الجمل «فيمكن أن

---

[50]– الاتساق والانسجام في القرآن، ص 201.

[51]– نفسه ص 207.

يكون لنص خاصية التوجه نحو العلاقات الإحالية بواسطة الضمائر بينما ينحو نص آخر نحو العلاقات التي تتحقق في الحدود بين الجمل».[52]

4.1.4.2. خلاصة في مفهوم النص

يتبين لنا من خلال العرض السابق أن المقام يلعب دورا هاما في تحديد مفهوم النص. ولئن أمكن أن نصف مقطعا ما بأنه نص فذلك يعود إلى احتوائه على مستوى تعبير متماسك. وقد أشرنا سابقا إلى أن مستوى التعبير تشكله ثلاثة عناصر هي: المجال والشكل والإطار، وتمثل هذه العناصر البنية السيميائة للمقام. ومن هنا تتحقق الخاصية الأولى للنص وهي علاقته بالمقام، وتأتي الخاصية الثانية وهي العلاقات الداخلية المحققة بواسطة الاتساق. وعليه «يمكن تكملة مفهوم **الاتساق** بطريقة مفيدة بمفهوم **مستوى التعبير**... ولا يكفي توفر شرط دون آخر».[53]

وهكذا يتحدد مفهوم النص من خلال الخاصيتين السابقتين كما يلي: [54]

$$\text{البنية} = \begin{cases} ن1: ج1 \cap ج2 \cap ج3 \cap \ldots\ldots ج_ن \\ ن2: ج1 \cap ج2 \cap ج3 \cap \ldots\ldots ج_ن \\ ن3: ج1 \cap ج2 \cap ج3 \cap \ldots\ldots ج_ن \end{cases}$$

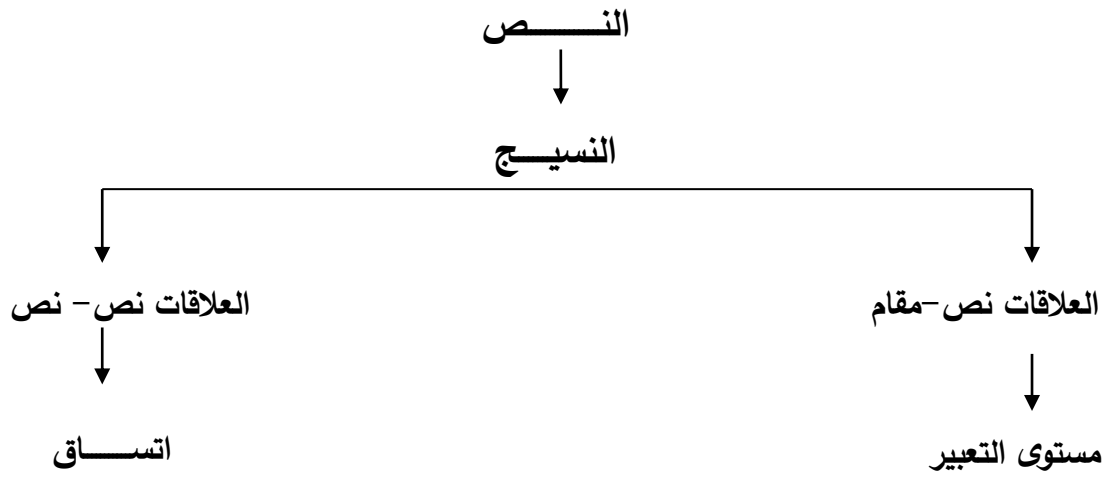
فهناك ثابت إذن هو البنية، وتمثل الثابت الذي يحكم جميع الجمل في جميع النصوص.

[52] – نفسه ص 207.

يقدم الباحث نماذج تجريدية للتفريق بين البنية والاتساق كما يلي:

[53] – Cohesion in English, P23.

[54]– ينظر الاتساق والانسجام في القرآن ص209.



2.4.2. العناصر المحققة للاتساق النصي

يتبين من العرض السابق لمفهوم النص أن الاتساق يمثل جانبا هاما في تحقيق النسيج. وقد عرض هاليداي وحسن في مؤلفهما مجموعة من أقسام العناصر المحققة للاتساق تتمثل في:

- ✓ الإحـالة.
- ✓ الاستبدال.
- ✓ الوصل.
- ✓ الاتساق المعجمي.

وقد بسط بكثير من التفصيل والتمثيل هذه الأبواب، ولانستطيع أن نعرضها كلها عرضا مفصلا ولكننا سنكتفي بالإشارة إلى بعضها مع التمثيل بأمثلة المؤلف. ونبسط بشيء من التفصيل بابين من هذه الأبواب وهما الإحالة والاتساق المعجمي لما لهما من صلة بموضوعنا.

1.2.4.2. الاستبدال

يمثل الاستبدال عند هاليداي وحسن عملية معجمية نحوية، ويتعلق بالاحتفاظ بوحدة لغوية ومن ثم فهو عملية تتم داخل النص.

ومن هذه الزاوية يختلف عن الإحالة من حيث إنها تتعلق إما بعلاقة داخلية حينما يرتبط العنصر اللغوي بعنصر لغوي داخل النص، وإما بعلاقة خارجية حينما يرتبط العنصر اللغوي بمعطى خارجي (أي المقام).

وإذا كانت «الإحالة العائدية/الداخلية هي فقط حالة خاصة من الإحالة بصفة عامة ... والإحالة يمكن أن تكون خارجية إذا كان المحيط هو المقام... فإن الاستبدال علاقة داخل النص ويستعمل بدل تكرار الوحدات الخاصة»[55]

ويحدد هاليداي وحسن أنواع الاستبدال كما يلي:

- الاستبدال الاسمي: ويتحقق في الانجليزية بواسطة ones/one و same

ومثاله:

[3-8c] *which kind of engines do you want?* ***Ones*** *with whistles or* ***ones*** *without?*

أي نوع من القاطرات تريد؟ التي بالصفارات أم التي بدونها؟

Do you remember that thunderstorm we had the last time? We were here? That was a terrifying ***one****.*

أتذكر تلك العاصفة التي ضربتنا في الماضي؟ لقد كانت واحدة مرعبة.

ومثاله من القرآن من سورة الزخرف: " وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (آ 72) وهو استبدال دقيق لتفادي التكرار. فكلمة "تلك" استبدلت مكان تكرار كلمة الجنة ولولا ذلك لقيل "والجنة الجنة التي أورثتموها..."

- الاستبدال الفعلي: ويتعلق خاصة بالفعل do ومثاله

He never really succeeded ***in his ambitions.*** *He might have* ***done****,* one feet, had it not been for the restlessness of his nature.

لم ينجح في حياته حقا، لكن كان بإمكانه أن يفعل ذلك، لم يجد مكان راحته في نفسه.

[55] – Cohesion in English, P89.90.

ومثاله من القرآن من سورة البقرة: " قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُوٱ۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ **فَذَبَحُوهَا** وَمَا كَادُوا۟ **يَفْعَلُونَ**" (آ 71) حيث تم استبدال فعل الذبح بكلمة يفعلون وتقدير الكلام " فذبحوها وما كادوا يذبحونها"

يمكن أن نقوم هنا بعملية استبدال بين الفعل **do** وعبارة succeeded in his ambitions ويحقق هذا الفعل العلاقة الاتساقية بين الجملتين.[56]

- الاستبدال الجملي (clausal substitution): وفي هذه الحالة يتعلق الأمر بالوحدتين So و not، وهما تشبهان الوحدتين yes (نعم) و no (لا)[57]

ومثاله:

[*3-96c*] *Is there going to be an earthquake? It says* ***so****.*

هل يوجد خطر زلزال؟ يبدو أن ذلك هو ما يُشير إليه.

و so هنا يعوض الجملة *there is going to be an earthquake*

ومثاله من القرآن ما جاء في سورة البقرة (آ187) "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَىۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَـٰنٍۗ **ذَٰلِكَ** تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌۗ " ف **ذلك** استبدلت كل ما ذكر عن قضية القصاص.

2.2.4.2. الحذف

يحدد هاليداي الحذف بأنه عملية استبدال ولكن العنصر المبدل به هو الصفر ويسمى عند هاليداي substitution by zero. وعلى هذا الأساس فهو خلو موقع من البنية يتم ملؤه بالسياقات القبلية.

---

[56]– هناك أمثلة أخرى يعرضها هاليداي ويبين من خلالها عدم تحقيق الفعل **do** للعلاقة الاتساقية لأن عملية الاستبدال تتم داخل الجملة الواحدة. وقد بينا سابقا أن أي اتساق بنوي تتم فيه العلاقات داخل الجملة ومن ثم لا يندرج ضمن الاتساق كما حدده من حيث إنه علاقة دلالية تربط عنصرين يوجدان في جملتين مختلفتين.

ينظر وظائف الفعل **do** ص124 وما بعدها.

[57] – ينظر ص 258 وما بعدها لمزيد من التفصيل.

ويقسمه إلى حذف اسمي وحذف فعلي وحذف جملي.

- الحذف الاسمي:[58] ومثاله

[*4-11*] *Here are my two white silk scarves. I can lend you **one** if you like.*

توجد ربطتا العنق الحريريتان هنا. أستطيع أن أعيرك إحداهما إن رغبت (في ذلك)

يمكن بناء العبارة الأصلية هكذا:

one white silk scarves

- الحذف الفعلي: ومثاله

[*4-58*] *Is John going to **come**?*

*He night. He **was to** but he **may not**.*
*He **should**, if he wants his name to considered.*

هل سيأتي جون؟

هو يستطيع. يمكن أن يأتي ولكنه لا يستطيع.

يجب عليه، إذا أراد أن يؤخذ اسمه بعين الاعتبار.

وأصل البناء هنا يكون هكذا:

*He **was to** come.*
He may not come.
*He **should** come.*

وهناك صور أخرى للحذف الفعلي مع تحديد شروطه كما هو الحال في الحذف الاسمي.[59]

- الحذف الجملي: ومثاله

[*4-96*] *What **was the duck** going to do?*

Plant a row of poplars in the park.

ماذا كانت ستفعل البطة؟

زرع صف من شجر الحور في الحديقة.

---

[58]– يقدم مفتاح بن عروس عرضا للشروط التي يشترطها هاليداي للكلام عن الحذف الاسمي.
ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن ص 234–235.

[59] – ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن ص 236– 238.

فحذف هنا **was** مع الفاعل **duck** لأن أصل التركيب

The duck was plant ……..

وهذا حذف من اليسار.

وهناك حذف من اليمين:

[*4-96*] *Ho was **going to plant a row of poplars in the park**?*

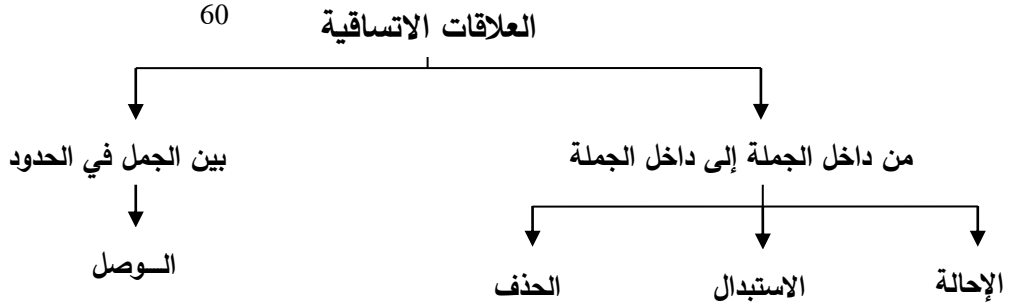
The duck was (…….)

من سيذهب لزراعة بذور شجر الحور؟

البطة (……..)

1.2.4.2. الوصل

يمس الوصل جانب العلاقة بين جملتين. ولئن كانت العلاقة في العناصر السابقة تتحقق دائما بين عنصر من داخل جملة لاحقة وعنصر من داخل جملة سابقة، فإن الوصل يحقق العلاقة في الحدود بين الجمل. ويمثلها مفتاح بن عروس كما يلي:



[60]

ويتم الوصل بعدة أدوات تحدد المعاني الآتية:

- علاقة إضافة Additive relation.
- علاقة تقابل Adversative relation.
- علاقة سببية Causal relation.
- علاقة زمنية Temporal relation.

---

[60] – نفسه ص 241.

وأمثلتها على الترتيب:

[*5-22*] *My client says he does not know this witness.*
Further, he denies ever having seen her or spoken to her.

أدلى موكلي بأنه لا يعرف هذا الشاهد بالإضافة (إلى ذلك) هو ينفي أن يكون قد رآه أو كلمه.

[*5-36 a*] *She failed ,However, she tried her best .*

هي فشلت، ومع ذلك ستبذل جهدها.

[*5-84*] *You aren't leaving. Are you? Because I've got something to say to you.*

أنت لم تغادر. أنت هنا؟ لأن لدي شيئا أقوله لك.

[*5-13*] *For the whole day he climbed up to steep mountain said, almost without stopping.*
Then, as dusk fell, he sat ……. to rest.

خلال اليوم كله تسلق مرحلة الجبل الجانبي. بدون توقف. ثم حينما حل الظلام، جلس ليستريح

4.2.4.2. الإحالة

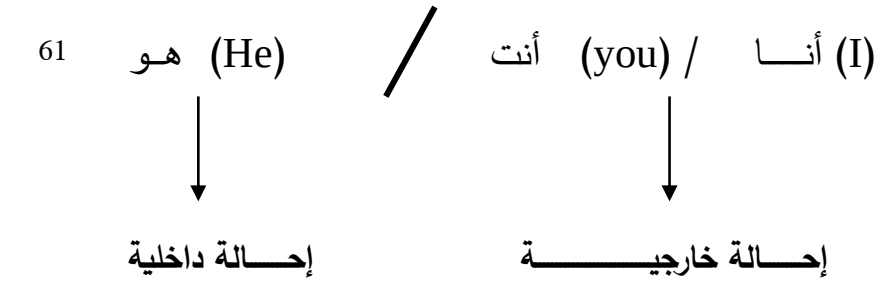
يفرق هاليداي وحسن بين إحالتين هما الإحالة الداخلية والإحالة الخارجية. ففي الإحالة الداخلية يرتبط العنصر اللغوي بعنصر لغوي آخر، أما الخارجية فيرتبط العنصر بما هو خارجي.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن الإحالة الداخلية هي وحدها التي تحقق الاتساق. ويميزان بين ثلاثة أنواع من الإحالة هي:

- إحالة الضمائر (personal reference).
- إحالة أسماء الإشارة (demonstrative reference).
- إحالة المقارنة (comparative reference).

1.4.2.4.2. إحالة الضمائر

ينطلق هاليداي وحسن في البداية من التفريق بين الضمائر التي تحيل على الخارج والضمائر التي تحيل على الداخل. ويمكن تمثيلها بالشكل الآتي:



ويجب الإشارة هنا إلى أن الإحالة الداخلية للضمير أنا (I) و أنت (you) واردة حينما يظهران في الخطاب المباشر كما هو الحال في:

[*2-14*] *There was a brief not from Suzan. She just said "I am not coming home this weekend"*

فالضمير أنا (I) يحقق إحالة داخلية من حيث عودته على عنصر لغوي في السياق السابق. وهذا العنصر هو كلمة Suzan.

وهناك قسم آخر من العناصر التي تحقق علاقة إحالية وتنتمي إلى قسم الضمائر وهي ضمائر الملكية (Possessive pronouns) وهي: mine, yours, his, has, its, theirs. وتتطلب في تأويلها بخلاف الأشكال الأخرى للإحالة عنصرين. ومثالها:

[*2-25c*] *Can you hand Mary a program? Hers has gat lost.*

هل يمكنك أن تعطي **برنامجا لماري؟** (ف) برنامجها ضاع.

فضمير الملكية **Hers** يتطلب في تأويله تحديد المالك. وهو في المثال **Mary** والشيء المملوك **a program**، ولكنه يرتبط إحاليا فقط بالعنصر الأول أي **Mary** .

[61]– لقد عالج الباحث مفتاح بن عروس مسألة إحالة الضمائر بتوسع واستنادا إلى مجموعة من الأمثلة في العربية، وتوصل إلى تحديد عدد من التقابلات في هذه الفئة. للتوسع أكثر ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن، ص 260 وما بعدها.

أما بالنسبة للضمير **it** فإنه يختلف عن الضمائر الأخرى من حيث قدرته على الإحالة على سياقات موسعة تتجاوز العنصر الواحد وترتبط بأجزاء مهمة من النص ومثال ذلك:

[2-18] *The queen said: «Curtsey while you're thinking what he say. It saves time" Alice wondered a little at this, but she was too much in awe of the queen to disbelieve it.*

قالت الملكة: «اِنْحَنِ قليلا حينما تكون تفكر فيما ستقول. (ف) هذا يوفر عليك الوقت. لقد استغربت أَلِيس بعض الشيء وهي تسمع هذا الكلام ولكنها كانت منبهرة بالملكة لدرجة أنها لا تؤمن بما قالت».

فالضمير **It** في It saves times يحيل على كل السياق *Curtsey while you're thinking what to say*.

وأما **It** الثاني في نهاية المثال فيمكن صياغته كالآتي:

«that *Curtsey (ing) while you're thinking what to say save time*».

«بحكم أن التواضع يوفر الوقت حينما تكون بصدد التفكير فيما تقول».

2.4.2.4.2. إحالة أسماء الإشارة

يشير هاليداي وحسن إلى أن الأصل في إحالة أسماء الإشارة هو الإحالة الخارجية. وتظهر الإشارة في الوحدات الآتية: here (هنا)، there (هناك)، now (الآن)، then، this، these، that، those، the.

وتحقق هذه العناصر الإحالتين الخارجية والداخلية مثلها مثل الضمائر، وفي حالة الإحالة الداخلية فإنها تعود على سياقات واسعة من النص ونكون بذلك أمام إحالة موسعة وتتقاطع في هذا مع **it**.

ويُدْرج هنا the ضمن الإشاريات المحققة لعلاقة إحالية ويقدم لذلك أمثلة من بينها:

[2-62] *She found herself in a long, low hall which was lit up by a row of lamp hanging from; the roof. There were **doors** all-round **the hall**, but they were all bucked.*

(هي) أقامت في قاعة طويلة منخفضة ومضاءة بمصباح معلق في السقف. كانت الأبواب محيطة بالقاعة لكنها كانت كلها موصدة .

إن البنية (the + N) الناتجة عن انتقال من النكرة إلى المعرفة يشير فيها the إلى أن الاسم الذي يحدده له محيل عليه يمكن تحديده.

3.4.2.4.2. إحالة المقارنة

ترتبط إحالة المقارنة عند هاليداي وحسن بمقارنة صريحة بين العنصر المحيل والعنصر المحيل عليه. وتنقسم عنده إلى قسمين؛ قسم يسميه المقارنات العامة، والقسم الثاني يسميه المقارنات الخاصة.

فبالنسبة للمقارنات العامة يمكن أن تعبر عن التشابه أو عدم التشابه، وتعبر علاقة التشابه عن **التطابق** أو **عدم التطابق** (أي أن يكون شيئان هما نفس الشيء أو ليسا نفس الشيء)، وكذلك التماثل و عدم التماثل. وهاتان العلاقتان إحاليتان إذ لا يمكن الكلام عن مطابقة شيء أم مماثلته إلا لشيء آخر. ومن هنا فإن المقارنات تنتمي إلى مجال الإحالة.

وتتوفر الإنجليزية على مجموعة من الأدوات تحقق هذه المقارنات العامة من بينها:

- ما يدل على المطابقة: same, equal, identical, identically.
- ما يدل على التماثل: such, similar, so, similarly, likewise.
- ما يدل على التطابق أو التماثل: other, different, else, differently, otherwise.

وهذه بعض الأمثلة التي توضح هذه الظاهرة:

[*2-77*] *General Middleton was a man **of mildly but persistently depressive temperament.** **Such** men are not at their best at breakfast.*

كان جيرار ميدلتون رجلا ذا مزاج اكتئابي خفيف ولكن دائم. مثل هؤلاء الرجال ليسوا في أحسن أحوالهم في فطور الصباح.

[*2-76b*] *They've given us special **places** in the front row. Would you prefer the **other** seats?*

خصصوا لنا أماكن خاصة في الصف الأمامي. هل تفضل المقاعد الأخرى؟

[*2-78a*] *Every body says "**come in !**" here, thought Alice, as the went slowly after the cryphon: «I never was **so** ordered about in all my life, never! ».*

كل شخص يقول: «ادخلي !» هنا، فكرت أليس وهي تسير ببطء خلف الغريفون: لم أتلق أبدا هذا القدر من الأوامر طوال حياتي.

ففي المثال الأول يرتبط **such** بالعبارة ***of mildly but persistently depressive temperament***.

وفي المثال الثاني يرتبط **other** بـ **places**، أما في المثال الثالث فيرتبط **so** بالعبارة ***"come in !"***.

وتحقق هذه العناصر علاقة اتساقية غير أن عناصر مثل same، equal، identical، similar، different قد ترد في السياق ولا تحقق هذه العلاقة الاتساقية لأنها لا ترتبط إحاليا بعناصر أخرى. وتكون المقارنة في هذه الحالة داخلية كما هو الحال في المثال:

[*2-79c*] *All parties showed an **identical** reaction of the news.*

أبدت جميع الأطراف رد فعل مماثل تجاه الأخبار.

وبالنسبة للمقارنات الخاصة فهي تعبر عن التشابه في خاصية محددة تكون إما كمية أو كيفية، فبالنسبة للكم نجد: more، fewer، further، additional. وبالنسبة للكيف فنجد مثلا: so، as.

وهذه بعض الأمثلة التي يقترحها هاليداي وحسن:

[*2-88a*] *Cassius: ye gods, must]endure all this?*
*Brutus: All this? Ay, **more**.*

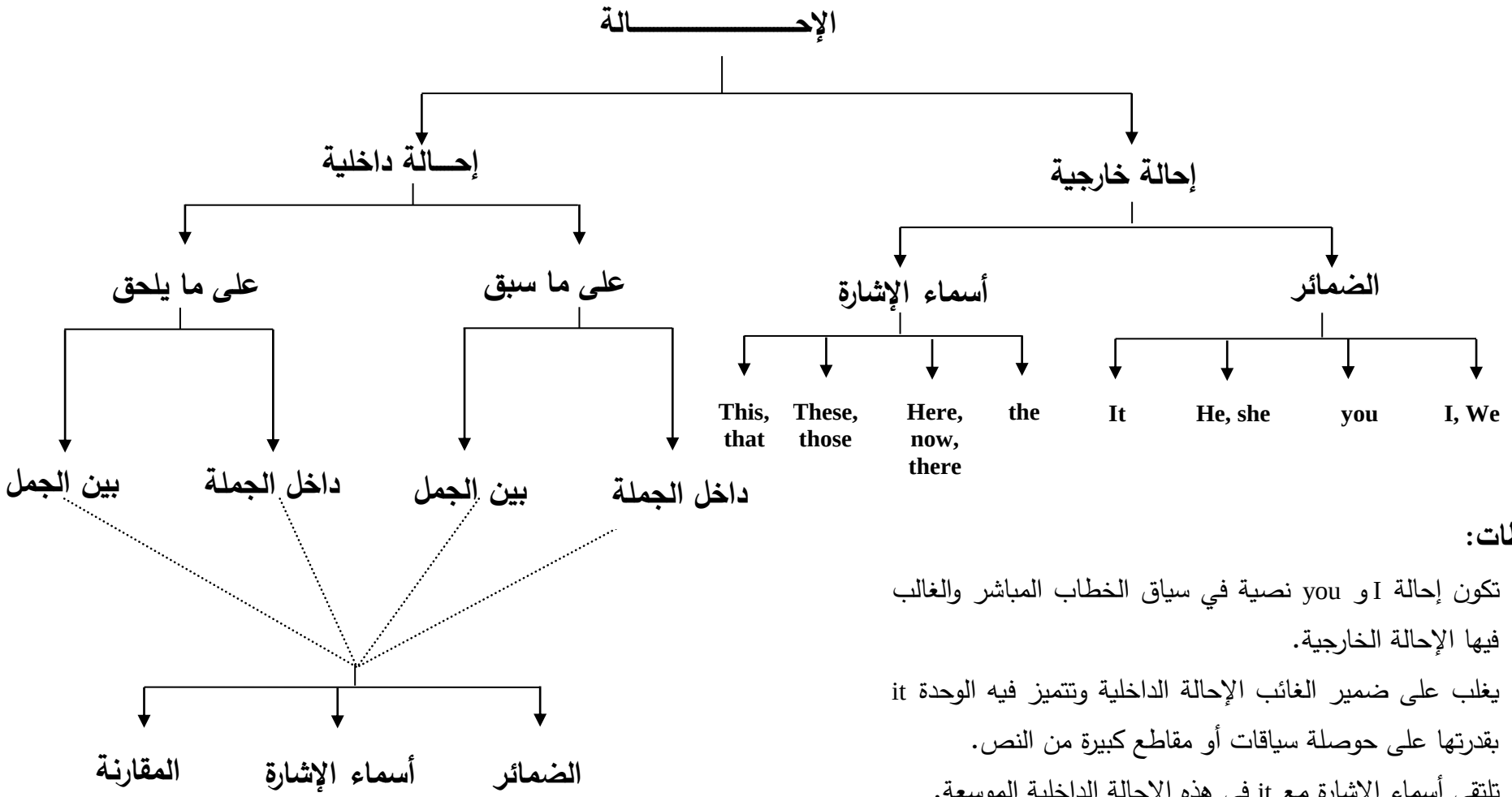
كاسيوس: أيتها الآلهة، أيتها الآلهة، هل علي أن أتحمل كل هذا؟

بروتس: كل هذا؟ بل أكثر.

ومثاله من القرآن (البقرة 74): "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" وتقدير القول " ... فهي كالحجارة **بل أشد قسوة من الحجارة**"

يلخص مفتاح بن عروس مسائل الإحالة عند هاليداي وحسن في هذا الجدول:[62]

[62] – ينظر الاتساق والانسجام في القرآن ص 222.



ملاحظات:

- تكون إحالة I و you نصية في سياق الخطاب المباشر والغالب فيها الإحالة الخارجية.
- يغلب على ضمير الغائب الإحالة الداخلية وتتميز فيه الوحدة it بقدرتها على حوصلة سياقات أو مقاطع كبيرة من النص.
- تلتقي أسماء الإشارة مع it في هذه الإحالة الداخلية الموسعة.
- كل إحالة داخلية تتم داخل الجملة الواحدة لا تلعب دورا في الاتساق.

5.2.4.2. الاتساق المعجمي

يعالج هاليداي وحسن في هذا الجانب دور الوحدات المعجمية في نسج علاقات بين الجمل، ومن ثم تحقيق الاتساق. ومن المعروف أن المعجم هو نظام مفتوح أي أن الوحدات المعجمية قابلة للزيادة على عكس غيرها من الوحدات التي تنتمي إلى قوائم مغلقة مثل الضمائر وأسماء الإشارة.

ينشىء المعجم علاقات مختلفة بين وحداته، ويحدد هاليداي وحسن نوعين من مظاهر الاتساق في المعجم يسميانهما التكرار (reiteration) والتلازم (collocation).

1.5.2.4.2. التكرار

يتحقق الاتساق بواسطة التكرار من خلال مجموعة من الصور منها التكرار التام لوحدة معجمية أو عن طريق الترادف أو شبه الترادف أو اسم الجنس أو باستعمال الاسم العام (hyperonyme).

- **التكرار التام**

[6-5a] *There was a large **mushroom** growing near hear, about the same height as herself; […]She stretched herself up on tiptoe, and peeped over the edge of **the mushroom**.*

كان **فطر** كبير ينمو بجانبها، له تقريبا نفس الارتفاع مقارنة بها [...] (هي) مددت طولها مستندة على رأس أصبع قدمها ولوحت بنظرة حول الفطر.

- **الترادف**

[6-5b] *Accordingly [...] I took leave, and turned to the **ascent** of the peak. The **climb** is perfectly easy.*

وفقا لذلك ... بدأت أرحل، واستدرت إلى القمة. التسلق جد رائع.

فالعلاقة بين **ascent** وبين **climb** هي علاقة ترادف.

- العلاقة بين العام والخاص

[*6-5d*] *Henry's bought himself a new **jaguar**. He practically lives in the **car**.*

اشترى هنري (سيارة) **جغوار**. وهو يعيش عمليا في **السيارة**.

- الاسم العام

[*6-1e*] *Can you tell me where to say in **Geneva** ? I've never been to **the place**.*

أيمكنك أن تخبرني أين تجلس في جينيفا؟ لم أكن في (ذلك) المكان.

ف **the place** اسم عام بالنسبة لهاليداي وحسن وهو يحيلنا إلى **Geneva** من حيث اندراجه في هذا الاسم العام.

2.5.2.4.2. التلازم

يختلف التلازم من منظور هاليداي وحسن عن التكرار من حيث إنه يتأسس على انتماء الوحدات المعجمية إلى حقول دلالية أو فضاءات دلالية مشتركة، ومن هنا يتحقق التآلف بينها وتتحقق هذه العلاقات بأشكال مختلفة منها:

- التضاد: مثل (جاف) dry ..... (مبلل) wet، (ممتلىء) crowded... (فارغ) deserted.
- التكامل: (قف) standup – (اجلس) sit down.
- العلاقات الاتفاقية: (أمر) order – (طاعة) obei.
- انتماء إلى نفس المجموعة: (السبت) Saturday... (الخميس) Thursday... (الثلاثاء) Tuesday.
- العلاقات بين الجزء والكل: (مكبح) brake – (سيارة) car/ (أنف) nose – (ذقن) chin – (وجه) visage.

وبالإضافة إلى هذه الصور من التلازم يدرج هاليداي وحسن صورة أخرى لهذا التلازم يعبر عنه بانتماء الوحدات المعجمية إلى الفضاء الخطابي نفسه، وهو ما سمح له

بإدراج أمثلة من نوع: نكتة (joke) .... ضحك (laugh)، طب (medicine)– طبيب (doctor)– مرض (ill).

خلاصة الفصل

لقد حاولنا في هذا الفصل أن نتتبع – بصورة مختصرة – مسار الدراسات اللسانية والنظر في التطور الذي عرفته. وانطلقنا في هذا التتبع من دي سوسير المؤسس الأول للسانيات باعتبارها علما، وبيننا الأسس التي اعتمدها للخروج بالدراسات اللسانية من الجانب التاريخي إلى الجانب الوصفي وذلك باعتماد مفاهيم عُرفت بالثنائيات.

ولئن عرفت البحوث التي جاءت بعد دي سوسير اهتماما كبيرا بالوصف اللساني وازدهرت البحوث في مجال البحث عن أنظمة اللغات، فإن هذا لم يمنع من التساؤل عن حدود هذا البحث.

ومن ثم ظهر هاريس لينقل الاهتمام من الجملة إلى ما هو أكبر، وشكل مقاله الموسوم "تحليل الخطاب" منعرجا هاما .... تحول فيه الاهتمام إلى وحدة أكبر من الجملة سماها بتسميات مترادفة: النص، الخطاب، القول المتتابع.

لقد شكل هذا المقال نقطة تحول إلى دراسة الخطاب باعتباره كلا. وإلى جانب هذا ظهرت محاولات أخرى مدرجة تساؤلات أخرى عن نحو للنص في مقابل نحو للجملة. وشكل بحث إيوالد لانغ مدخلا هاما لتصور هذا النحو المقابل لنحو الجملة.

ولم نتتبع بالتفصيل جميع التطورات التي عرفها البحث اللساني، ولكن اقتصرنا فقط على عرض انجازين هامين في هذا المجال هما: عمل جان ميشال آدم (**Jean Michel ADAM**) الموسوم: **Linguistique textuelle : des genres de discours aux textes**، وعمل هاليداي ورقية حسن (**Halliday & Hassan**) الموسوم: **Cohesion in English**.

وتكمن أهمية هذين المؤلفين في اهتمامهما بالجانبين معا النظري والتطبيقي. فآدم قدم مجموعة من المفاهيم والتصورات سمحت له بتقديم مفهوم للنص من حيث هو تشكل

من مستويات متراتبة، كل مستوى يؤسس للآخر وولد ذلك مجموعة من المفاهيم مثل الجملة الملفوظة والدور والمقطع، وأبرز من خلال ذلك مجموعة العلاقات التي تؤسس لكل مستوى عن طريق تحليل مجموعة من المدونات.

أما هاليداي وحسن فقد قدما عملا أبرزا فيه كيفية تحقق النسج في النص. وقد اختارا عنوانا دالا هو الاتساق في الانجليزية. ولئن كان الأمر يتعلق بالانجليزية فإن تقديمهما لمجموعة من المفاهيم في البداية مثل النص ومجموعة الجمل والنسيج والبنية وغيرها من المفاهيم، يسمح بالاستئناس بهذه المفاهيم والاستفادة منها في تحليل النصوص العربية.

الفصل الثانى

أسماء الإشارة ودورها فى نسيج النص

مقدمة

سنتناول في هذا الفصل أسماء الإشارة انطلاقا من تحديد مفهوم الإشارة عند النحاة ثم تحديد نظام أسماء الإشارة من خلال معرفة القوانين التي تحكم هذا النظام.

ثم نتتبع هذه الوحدات الإشارية لمعرفة قيمها الإحالية من خلال معطيات المدونة التي جمعناها في هذا الباب.

سنتتبع هذه الوحدات من خلال النظر في السياقات التي تندرج فيها لنلتمس أهميتها في نسيج النص.

1. أسماء الإشارة في التراث النحوي

1.1. نظام أسماء الإشارة عند سيبويه

في باب «ما ينتصب لأنه خبر للمعروف المبني على ما هو قبله من الأسماء المبهمة» يحدد سيبويه فئة من الوحدات يسميها الأسماء المبهمة فيقول: «والأسماء المبهمة هذا وهذان وهذه وهاتان وهؤلاء وذلك وذانك وتلك وتانك وتيك وأولئك»[1]

وإذا نظرنا إلى هذا التحديد نجد أنه محكوم بثلاثة تقسيمات:

- تقسيم بحسب الجنس:

هذا	هذه	هؤلاء
هذان	هاتان	

- تقسيم بحسب العدد:

هذا	هذه	هؤلاء
هذان	هاتان	

ويضيف سيبويه في سياق آخر تقسيما ثالثا، يقول: «و**ذلك** بمنزلة **هذا** إلا أنك إذا قلت **ذاك** فأنت تنبهه لشيء **متراخ** و **هؤلاء** بمنزلة **هذا** و **أولئك** بمنزلة **ذلك** و**تلك** بمنزلة **ذاك**»[2]

تسمح لنا عبارة **بمنزلة** من أن نحدد جهة الاشتراك في هذه الأسماء وهي الإشارة أو ما يسميه سيبويه التنبيه. ومن هنا نحصل على ما يلي:

ذاك	بمنزلة (=)	هذا
هؤلاء	بمنزلة (=)	هذا
أولئك	بمنزلة (=)	ذلك
تلك	بمنزلة (=)	ذلك

[1]– سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988،ج2، ص77.

[2] – نفسه ص 78.

وتعني المساواة هنا الاشتراك في الإشارة.

وفي مقابل ذلك تسمح لنا عبارة "إلا أنك إذا قلت ذاك فأنت تنبهه لشيء متراخ" من أن نحدد المقابلة الآتية:

هذا	ذلك
هذه	تلك
هؤلاء	أولئك
غير متراخ	متراخ

وتسمح لنا كل المعطيات السابقة بأن نرسم الجدول الآتي:[3]

المسافة	مذكر		مؤنث
غير متراخ (قريب)	مفرد	هذا	هذه
	مثنى	هذان	هاتان
	جمع	هـــــؤلاء	
متراخ (بعيد)	مفرد	ذلك	تلك
	مثنى	ذانك	تانك
	جمع	أولئك	تيك

[3] – نشير هنا إلى أن ابن يعيش يوسع قائمة أسماء الإشارة من خلال إدراج وحدات أخرى زيادة على ما قدمه سيبويه. ويتبين لنا الفرق بين سيبويه وابن يعيش من حيث إن الأول يهتم بالوحدات الأساسية للنظام أما الثاني فيقوم بجرد كل الاستعمالات الواردة في هذا الباب. لأخذ فكرة أوسع ينظر:

موفق الدين ابن يعيش: شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، مصر، ط 1، 2001،ج3، ص 126-138.

هناك فئة أخرى من أسماء الإشارة ترتبط في دلالتها الأولى بالمكان. يقول الرضي في هذا السياق: «اعلم أن هذه الأسماء من أسماء الإشارة أيضا فهي مشار بها كما يشار بهذا وهؤلاء، إلا أن هذه الأسماء لا يشار بها إلا إذا ما حضر من مكان».[4]

ويعقد الرضي نفس المقارنة بين "هذا" و "هنا" ليستدل على الفرق بينهما، يقول: «هاهنا ألفاظ مختصة بالإشارة إلى المكان فقط والمذكور قبل (أي **هذا** وصواحبه) صالحة لكل مشار إليه مكانا كان أو غيره. و"هنا" لازم الظرفية إما منصوبا أو مجرورا بمن وإلى فقط».[5]

وإذا تأملنا هاتين المقولتين فإننا نستطيع أن نحدد مختلف العلاقات بين الفئتين كما يلي:

هذا – هؤلاء ∩ هنا = الإشـــارة

لكن

هذا، هؤلاء صالحة لكل مشار إليه، أما هنا وصواحبه فصالحة لما حضر من مكان.

ونضيف خاصية أخرى هي اشتراك "هنا وصواحبه" مع أسماء الإشارة الأخرى في التقسيم المسافي. ولكنها لا تعرف تقابلا على مستوى الجنس والعدد.

ونكون بذلك أمام هذا النظام:

قريب	**بعيد**
هنا	هنالك

أسماء الإشارة الدالة على المكان

[4] – شرح المفصل، ص 137.

[5] – رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب، تق ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج3، ص 86.

2.1. مفهوم الإشارة

يستعمل سيبويه عبارة "الأسماء المبهمة" كما رأينا في التعريف السابق، ونجد في سياق آخر إشارة هامة يقارن فيها سيبويه بين اسم الإشارة والضمير، يقول: «وقد يكون **هذا وصواحبه** بمنزله **هو** يعرف به تقول: هذا عبد الله فاعرفه إلا أن **هذا** ليس علامة للمضمر ولكنك أردت أن تعرف شيئا بحضرتك».[6]

وإذا فككنا هذا التعريف نجد:

هذا وصواحبه **يُعرَّف به** كما يعرف بـ **هو**

فنقول: هذا عبد الله = هو عبد الله.

من حيث إننا نعرف به، لكن هناك فرقا بين اسم الإشارة والضمير من حيث إن اسم الإشارة يعرِّف به المتكلم شيئا في حضرته، أما الضمير "هو" فهو علامة للمضمر.

ومن هنا يصبح اسم الإشارة مرتبطا بمفهوم الحضور في محيط المتكلم.

يلخص الباحث مفتاح بن عروس هذه الخصائص التي تكلم عنها سيبويه في ما يخص اسم الإشارة كما يلي:

مكونات اسم الإشارة من خلال تعريف سيبويه[7]

المكون 1	المكون 2	المكون 3	المكون 4	المكون 5
الإبهام	الجنس المقابلة مذكر/مؤنث	العدد المقابلة مفرد/مثنى-جمع	التراخي المقابلة المسافية قريب/بعيد	الإحالة المقامية الإشارة إلى ما هو موجود في حضرة المتكلم

[6] – سيبويه، الكتاب، ص 256-257.

[7] – مفتاح بن عروس: الاتساق النصي- دراسة لظاهرة العائد في العربية، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر، 1996-1997، ص 124.

3.1. أسماء الإشارة عند الرضي الاستراباذي

يقدم الرضي الاستراباذي إشارة هامة جدا في كافيته وهو يقارن بين ضمير الغائب **هو** واسم الإشارة **ذلك**، يقول: «فلفظ اسم الإشارة الموضوع للبعيد إذا أعني **ذلك** ونحوه **كضمير الغائب** يحتاج إلى مذكور قبل، أو محسوس قبل، حتى يشار إليه به، فيكون **كضمير راجع إلى ما قبله**».[8]

تسمح لنا هذه الإشارة باستخلاص مقارنة بين اسم الإشارة والضمير كما يأتي:

الوحدة	الإحالة على المقام	الإحالة على السياق
الضمير **هو**	يحتاج إلى محسوس قبلي	يحتاج إلى مذكور قبلي
اسم الإشارة **ذلك**	يحتاج إلى محسوس قبلي	يحتاج إلى مذكور قبلي

تضيف إشارة الرضي مكونا سادسا لأسماء الإشارة وهو إمكانية إحالتها على مذكور سابق. وبحكم هذه الإحالة يتجسد دور اسم الإشارة في تحقيق العلاقات الاتساقية في النص ومن ثم إحكام نسجه.

2. أسماء الإشارة بين الإحالة السياقية والإحالة المقامية

تبين لنا المعطيات السابقة، وخاصة إشارتا الرضي وابن يعيش أن أسماء الإشارة تتوزع وظيفتها بين إحالة على ما هو محسوس أو إحالة على مذكور سابق. وبهذا تحقق إحالتين؛ إما إحالة مقامية أو إحالة سياقية.

1.2. أسماء الإشارة والإحالة المقامية

تقدم لنا معطيات المدونة التي اعتمدناها مجموعة من الإمثلة التي تحقق فيها الإشارة إحالة على معطيات خارجية:

[8] – الرضي الاستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب، مج 3، ص 82.

- الإشارة في **هذا** و **هذه:**

ترد كثير من الأمثلة لهذا الإشاري وتندرج في سياق حوار أو مقام حضور

﴿.... وَقَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ (الصَّافَّاتِ 20)

فهذا الإشاري تتحدد قيمته استنادا إلى السياق الذي يوجد فيه. وهذا السياق هو:

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ وَقَالُواْ يَـٰوَيۡلَنَا هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ هَـٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ **(الصَّافَّاتِ 19-21)**

فمقام الحضور هنا تحدد بعض السياقات اللغوية مثل: **ينظرون، ضمير المتكلم نحن** في **يا ويلنا**، وضمير المخاطبة **أنتم**. فهناك إذا تقابل ونظر، ومن ثم تصبح قيمة **هذا** الإحالية مرتبطة بالمعاينة. ونكون حينئذ أمام إحالة مقامية.

وتسمح هذه السياقات الحوارية أو الحضورية بتحديد القيمة الإحالية لهذا الإشاري. لننظر مثلا:

﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ 20 إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ 21 إِنَّ هَـٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ 22﴾ سُورَةُ صٓ

نلاحظ في السياق الذي يسبق الإشاري **هذا** مجموعة من القرائن التي ترتبط بالمقام منها ضمير المخاطبة في **لا تخف** وضمير المتكلم الجمع في **بعضنا** و **بيننا**، وضمير المتكلم المفرد في **أخي** و **لي**.

إن وجود هذه القرائن ينقل الإشاري **هذا** إلى الإحالة المقامية، فالمتكلم هنا يشير إلى موجود عيني في محيطه.

وتشترك جميع أمثلة الإشاري **هذا** الذي يحيل على ما هو خارجي في هذه القرائن. لننظر مثلا:

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ 58 قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ 59﴾ سُورَةُ صٓ

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ 22﴾ سُورَةُ قٓ

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَدَّعُونَ 28﴾ سُورَةُ الْمُلْكِ

﴿..... ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ 17﴾ سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ

ويشير مفتاح بن عروس في هذا الصدد إلى أن إحالة الإشاري **هذا** يمكن تجسيدها في المعادلة الآتية:

الإحالة الإشارية = إشاري + موجود عيني

«وتعكس هذه المعادلة مسألة هامة تتمثل في أن التواصل هنا لا يستغني عن المقام (أي المعطيات الخارجية) بل يصبح هذا المقام علامة توجيهية (un repère) للمرسل والمستقبل. ويعكس استعمال الإشاري في قيمته الإحالية الخارجية دائما علاقة مباشرة بين المتكلم والمخاطب ليتحقق مفهوم الحضور الذي أشار إليه النحاة».[9]

ولا يختلف الإشاري **هذه** عن الإشاري **هذا** في الإحالة الخارجية، ويتطلب تحقيقه لهذه الإحالة نفس الشروط التي يتطلبها الإشاري **هذا**. لننظر مثلا:

﴿.... هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ 12﴾ سُورَةُ الطُّورِ

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ ...20﴾ سُورَةُ الْفَتْحِ

- **الإشاري هؤلاء**

يحقق هذا الإشاري إحالته الخارجية بنفس الشروط التي تكون في **هذا** و **هذه**. ومن أمثلته في المدونة التي اشتغلنا عليها:

﴿وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ 88﴾ سُورَةُ الزُّخْرُفِ

---

[9]- الاتساق والانسجام في القرآن، ص 303.

فالنداء هنا محقق لهذه العلاقة التخاطبية بين منادٍ ومنادى. ومن ثم تصبح إحالة **هؤلاء** هنا إحالة خارجية تشير إلى هؤلاء الذين وصفهم المنادي بأنهم قوم لا يومنون.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ مُّجۡرِمُونَ 21﴾ سُورَةُ ٱلدُّخَانِ

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ 33﴾ سُورَةُ ٱلدُّخَانِ

نلاحظ في المثال الأول وجود عبارة **فَدَعَا رَبَّهُۥٓ** فهي تدل على العلاقة التخاطبية بين موسى والله سبحانه عز وجل والدعاء نداء أشار من خلاله موسى إلى قومه بواسطة اسم الإشارة **هؤلاء**.

أما المثال الثاني فيرتبط ببناء السورة في بدايتها. ويتبين لنا من خلال هذا البناء العلاقة التخاطبية بين الله وبين الرسول ﷺ من جهة، وبين الله ﷻ وبين الكفار.

خطاب موجه إلى النبي ﷺ

(آ 5) ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُۖ﴾

(آ9) ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ 9﴾

خطاب موجه إلى الكفار

(آ 6) ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَۖ﴾

(آ7) ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَۖ 7﴾

(آ11) ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُومِنُونَۖ﴾

وتمثل هذه السياقات قرائن موجهة لإحالة الإشاري **هؤلاء** في المثال.

2.2. أسماء الإشارة والإحالة السياقية

بينت لنا الأمثلة السابقة أن أسماء الإشارة الدالة على القرب **هذا، هذه، هؤلاء**، تنحو نحو الإحالة الخارجية وترتبط هذه الإحالة كما رأينا أيضا بالمقام الذي يرد فيه الخطاب مع وجود قرائن لغوية مثل ضمائر الخطاب تساعد على تحديد نوعية هذه الإحالة.

وفي مقابل ذلك، نجد اسم الإشارة ينحو نحو الإحالة السياقية ويعود على سياقات لغوية تتسع أو تتحدد بحسب اندراج هذا الإشاري في هذه السياقات.

وقد بينت لنا معطيات المدونة التي اعتمدناها أن أسماء الإشارة الدالة على البعد تنحو نحو الإحالة السياقية أكثر من أسماء الإشارة الدالة على القرب.

سنتناول هذه الأسماء الدالة على القرب والدالة على البعد من خلال الأمثلة التي وردت في مدونتنا، ونشير في كل مرة إلى السياق الذي يعود عليه هذا الإشاري.

1.2.2. أسماء الإشارة الدالة على القرب

- **اسما الإشارة "هذه" و " هذا"**

ورد في المدونة التي اعتمدناها مثالان لـ**هذه** يحققان الإحالة السياقية، ويعود فيهما هذا الإشاري على سياق سابق.

- ✓ **المثال الأول:**

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا 17﴾ سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ

يرتبط الإشاري **هذه** في هذا المثال بسياق قبلي واسع هو:

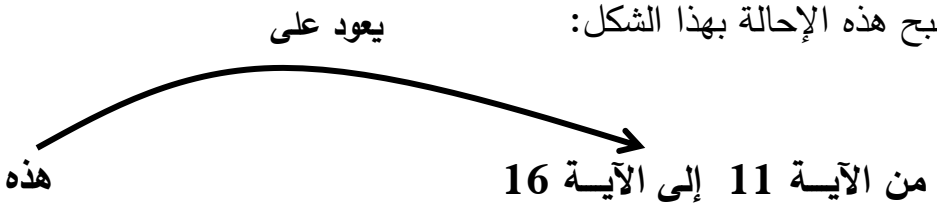
﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا 11 وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا 12 يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا 13 إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا 14 فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا 15 فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا 16﴾ سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ

إذا تأملنا في المثال نجد أن اسم الإشارة **هذه** في الآية (17) يحوصل كل السياق الذي قبله من الآية (11) إلى الآية (16)، وتعضد هذه الإحالة كلمة تَذْكِرَةٌ فتعمل عمل المساعد على تحديد المدى الذي يمتد فيه السياق. ولئن تساءل سائل هنا ماهي هذه التذكرة فيستطيع أن يضع المعادلة الآتية:

التـــذكـــرة = من الآيـــــة 11 إلى الآيـــــة 16

هي

فتصبح هذه الإحالة بهذا الشكل:

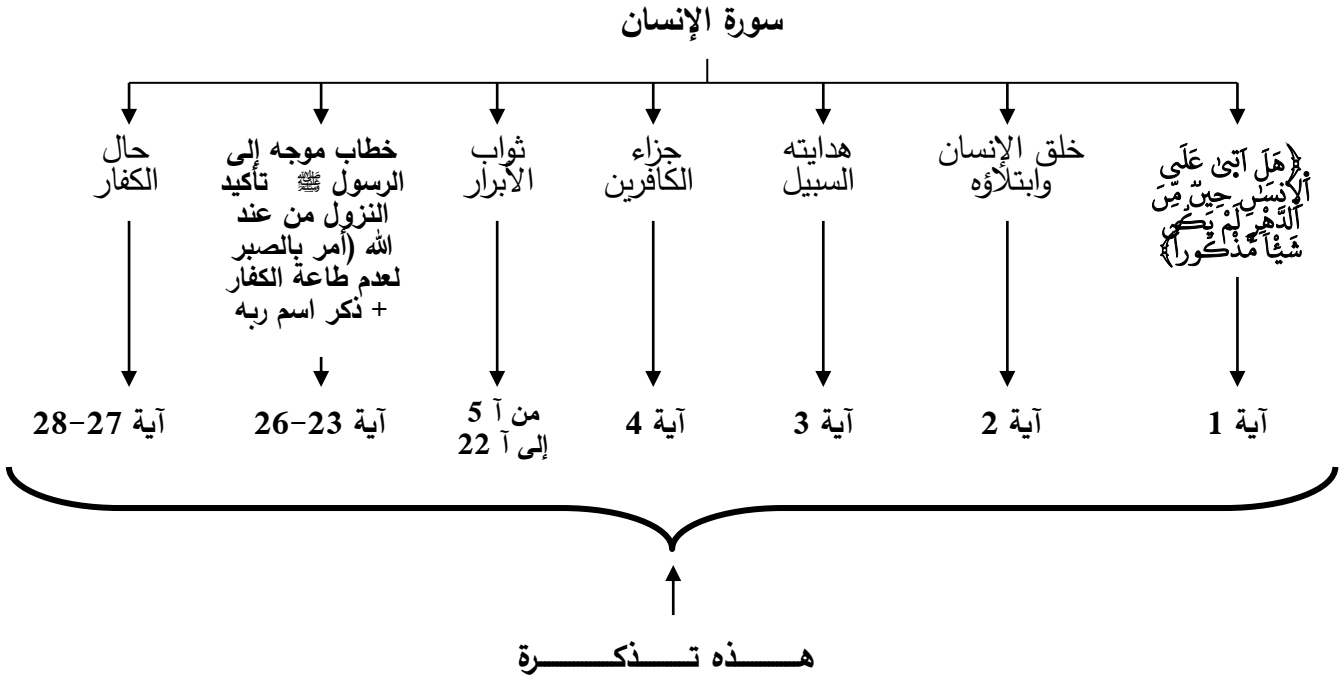


ويشبه المثال الثاني المثال الأول. وقد ورد في سورة الإنسان:

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا 29﴾ سُورَةُ ٱلۡإِنسَٰنِ

حينما ندرج هذا المثال في سياقه، نجد أنه يأتي بعد 28 آية، وبعبارة أخرى فإن الإشاري **هذه** يعود على السياق الذي يسبقه من بداية السورة إلى نهاية الآية 28.

ويسمح لنا المخطط الآتي بإبراز هذه العلاقة:

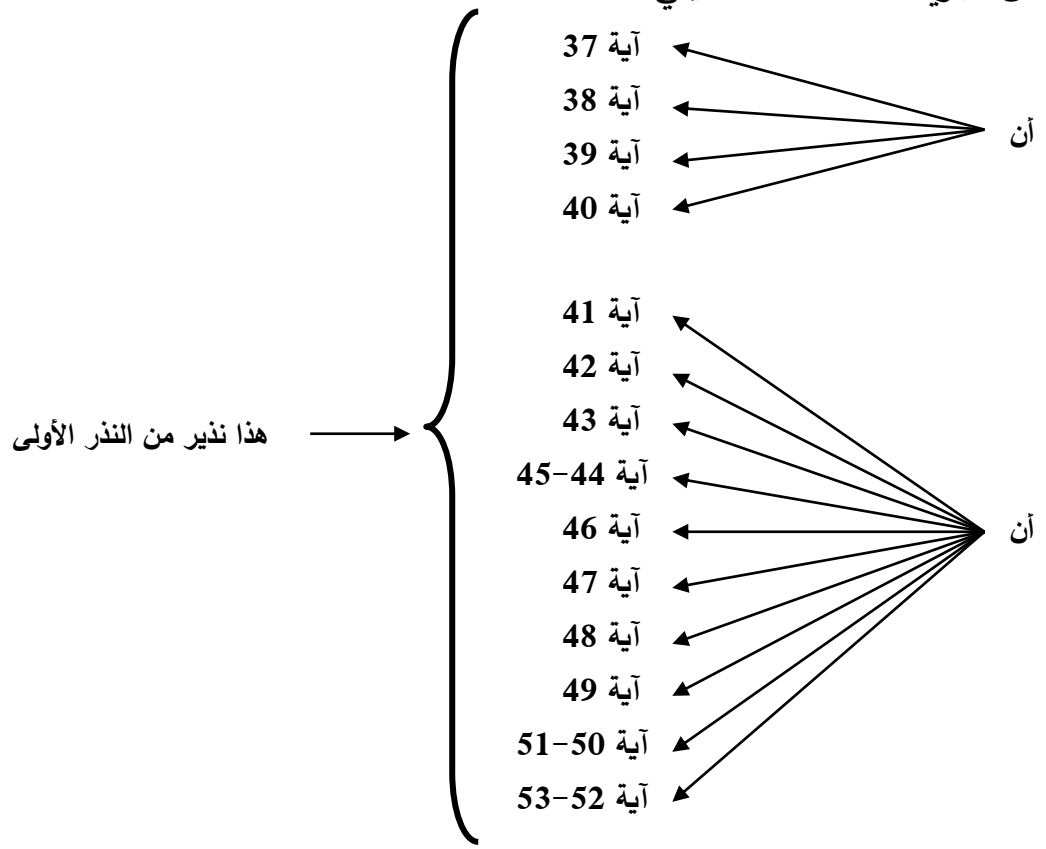


أما بالنسبة للإشاري **هذا** فإن تحقيقة لإحالة سياقية يرد أكثر من الإشاري **هذه** ولكنه غالبا ما ينحو نحو الإحالة الخارجية. ومن أمثلته في الإحالة السياقية:

﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ 35 وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ 36 أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ 37 وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ 38 وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ 39 ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ 40 وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ 41 وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ 42 وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا 43 وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ 44 مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ 45 * وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ 46 وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ 47 وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ 48 وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ 49 وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ 50 وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ 51 وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ 52 فَغَشّٰىهَا مَا غَشّٰى 53 فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ 54 هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ 55﴾ سُورَةُ ٱلنَّجْمِ

فاسم الإشارة في هذا السياق يعود على السياق القبلي من الآية 37 إلى الآية 53.

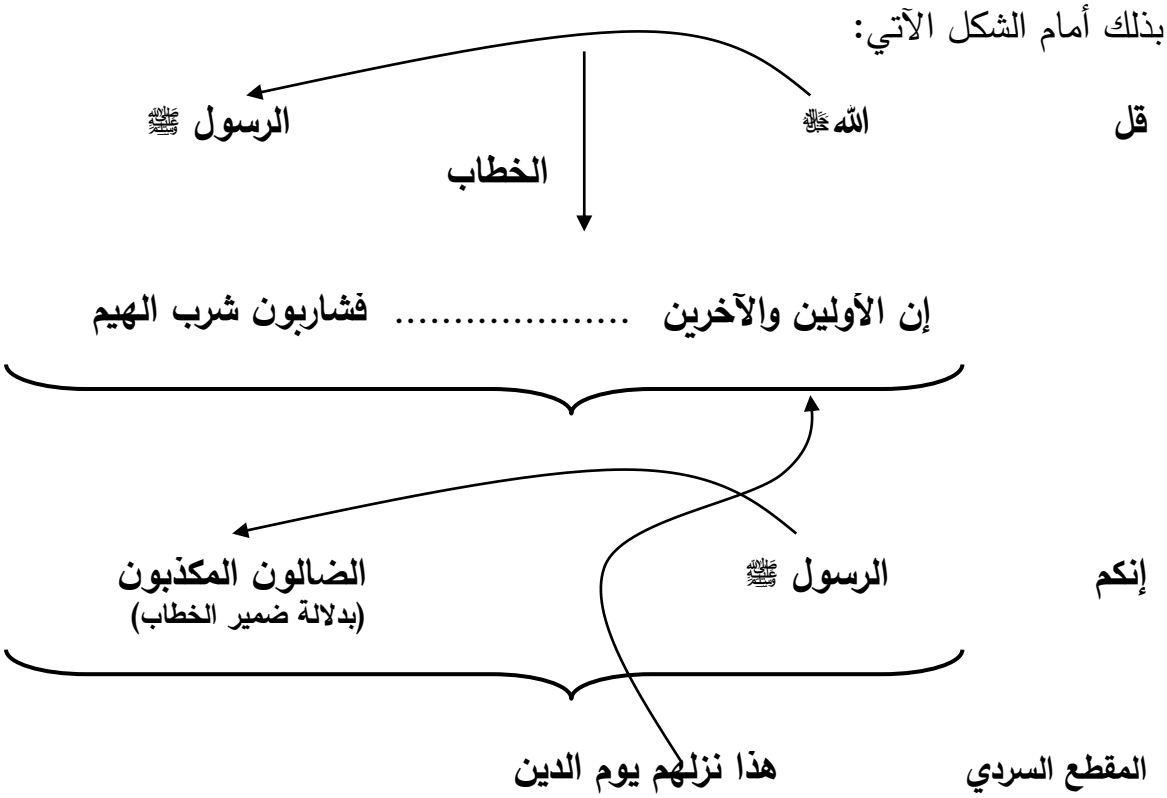
يمكن تجريد هذا المثال كما يلي:



وهذا مثال آخر لهذه الإحالة السياقية:

﴿ فُلِ إِنَّ ٱلۡاَوَّلِينَ وَالاَخِرِينَ لَمَجۡمُوعُونَ 52 إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمِ مَّعۡلُومٖ 53 ثُمَّ إِنَّكُمۡ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلۡمُكَذِّبُونَ 54 لَاٰكِلُونَ مِن شَجَرٖ مِّن زَقُّومٖ 55 فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ 56 فَشَٰرِبُونَ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡحَمِيمِ 57 فَشَٰرِبُونَ شُرۡبَ ٱلۡهِيمِ 58 هَٰذَا نُزُلُهُمۡ يَوۡمَ ٱلدِّينِ 59﴾ سُورَةُ ٱلۡوَاقِعَةِ

نلاحظ في هذا المثال مقطعين؛ مقطع خطابي يجسده الفعل **قل** وهو يرسي علاقة خطابية، الآمر بالقول هو الله سبحانه، والموجه إليه الخطاب هو الرسول ﷺ، ثم يضعنا مقول القول أمام مقطع خطابي آخر يكون فيه المخاطب هو الرسول ﷺ والمخاطَبون هم الأولون والآخرون، ثم يأتي بعد ذلك مقطع سردي ليحوصل كل السياق السابق فنكون بذلك أمام الشكل الآتي:



ونشير هنا إلى أن أغلب إحالات اسم الإشارة **هذا** في المدونة التي جمعناها هي إحالات خارجية تعضدها سياقات مثل ضمائر الخطاب والعبارات التوجيهية مثل الأمر والنداء.

2.2.2. أسماء الإشارة الدالة على البعد

أشرنا سابقا إلى أن أسماء الإشارة الدالة على البعد تنحو نحو الإحالة السياقية أكثر من أسماء الإشارة الدالة على القرب، وقد حاولنا ونحن ندرس أسماء الإشارة في إحالتها الخارجية أن نقدم تفسيرا لمنحى الإحالة الخارجية من خلال النظر في السياقات التي يرد فيها الإشاري. ويرد في المدونة التي اعتمدناها أسماء الإشارة الدالة على البعد محققة لعلاقة إحالية سياقية تتسع وتتحدد بحسب السياقات التي ترد فيها.

- **الإشاري أولئك**

تبين لنا فيما سبق أن الإشاري **هؤلاء** المقابل لـ **أولئك** ينحو نحو الإحالة الخارجية. وفي مقابل ذلك يرد الإشاري الدال على البعد **أولئك** بكثرة في أمثلة المدونة التي اشتغلنا عليها.

يتنوع السياق الذي يعود على هذا الإشاري؛ فقد يكون اسما مفردا كما في المثال:

﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ 12 أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ 13﴾ سُورَةُ ٱلْوَاقِعَةِ

فاسم الإشارة **أولئك** يحيل على كلمة **السابقون.**

وقد يكون مركبا إضافيا موسعا مثل:

﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ 40 **أُوْلَٰٓئِكَ** لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ 41﴾ سُورَةُ ٱلصَّٰٓفَّٰتِ

فالإشاري **أولئك** يحيل على المركب **عباد الله المخلصين.** وهو مركب موسع بواسطة الصفة.

ويأخذ هذا التوسيع صورا متعدد. فقد يوسع الاسم بواسطة جملة واصفة كما هو الحال في:

﴿لاَّ تَجِدُ قَوْماً يُومِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْاَخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوَ اَبْنَآءَهُمْ أَوِ اِخْوَنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْاِيمَنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْاَنْهَرُ خَلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ 21﴾ سُورَةُ الْمُجَادلَةِ

يقدم لنا هذا المثال صورة عن كيفية النسج بواسطة اسم الإشارة **أولئك**. ونستطيع أن نبين هذا النسج بالكيفية الآتية:

لاَّ تَجِدُ **قَوْماً** (يُومِنُونَ بِاللَّهِ ..... أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)[10]

أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ ..... أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ اللَّهِ

وقد يتوسع السياق الذي يعود عليه الإشاري **أولئك** بواسطة الاسم الموصول وصلته كما هو الحال في:

﴿... فَبَشِّرْ عِبَادِ 16 الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ

أُوْلَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدِيٰهُمُ اللَّهُ وَ **أُوْلَٰٓئِكَ** هُمْ أُوْلُواْ الْاَلْبَٰبِ 17﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ

وإذا كانت الأمثلة التي قدمناها يرتبط فيها الإشاري من الناحية الشكلية مع الاسم فنجد:

السابقـــون	∩	أولئك	دلالة الجمع
السابقـــون	∩	أولئك	
السابقـــون	∩	أولئك	

[10]– يمكن أن ينظر إلى المثال في هذه العلاقات السياقية بالشكل الآتي:

لا تجد قوما (توسيع) **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان .....أولئك حزب الله**

يسمح هذا الاشتراك في خاصية الجمع بتقييد العنصر الذي يعود عليه الإشاري **أولئك**. لكن السياق قد يتجاوز هذه العلاقات الشكلية إلى علاقات دلالية يبينها السياق الذي يسبق الإشاري **أولئك** كما هو الحال في المثال الآتي:

توســـــيع

﴿وَيْلٌ **لِّكُلِّ أَفَّاكٍ** [أَثِيمٍ 6 يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِراً كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ 7 وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ]

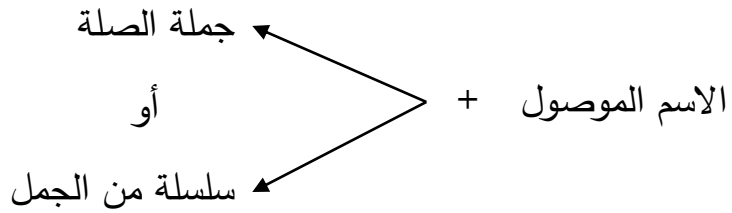
أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ 8﴾ سُورَةُ ٱلْجَاثِيَةِ

إذا قارنا بين **أولئك** وبين **أفاك** نجد أن هناك مفارقة في دلالة العدد، فـ **أولئك** دال على الجمع بينما **أفاك** يدل على المفرد. غير أن هذ المفرد يأخذ صورة الجمع بسبقه **كل** فتصبح الصورة كالآتي:

كل أفاك = أفاك + أفاك + أفاك + ...+ ن (أفاك) = جمع

ومن هنا يسَوَّغ استعمال أولئك.

تشكل الأمثلة السابقة نماذج للعلاقة التي يقيمها الإشاري **أولئك** مع وحدات إفرادية قابلة للتوسع بكيفيات مختلفة كما بينا ذلك في الأمثلة التي قدمناها. وفي مقابل ذلك استطعنا أن نحدد بنية تتكرر كثيرا في مدونتنا. ويمكن تمثيلها بالشكل الآتي:



﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضِ ۗ وَالذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ **أُوْلَـٰٓئِكَ** هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ 60﴾ سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

﴿إِنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ **أُوْلَـٰٓئِكَ** هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۚ 7﴾ سُورَةُ ٱلْبَيِّنَةِ

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلاَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ **أُوْلَـٰٓئِكَ** لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ 39﴾ سُورَةُ ٱلشُّورىٰ

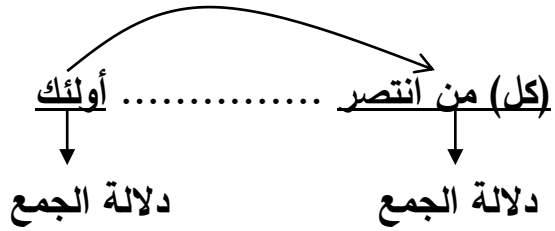
وإذا كانت العلاقة الشكلية تسهل عملية تحديد إحالة الإشاري كما هو واضح في الأمثلة:

الذين ∩ أولئك = جمع

وفي مقابل هذه العلاقة الشكلية، هناك علاقة دلالية تتأسس بين الإشاري **أولئك** والاسم الموصول **من**. ويعضد هذه العلاقة السياق الذي ترد فيه هاتان الوحدتان أي **من** و **أولئك**. لننظر مثلا:

﴿وَلَمَنِ إِنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ 38﴾ سُورَةُ ٱلشُّورىٰ

إذا قارنا السياق الموجود قبل **أولئك** فإننا نجد علامات المفرد بارزة بواسطة الفعل انتصر + الضمير **هو** في ظلمه، غير أن **أولئك** والضمير **هم** في عليهم هي علامات على الجمع. والحقيقة أن عبارة **من انتصر** تتجه اتجاهين؛ فإما تدل على المفرد، وإما تدل على الجمع. ويصبح السياق اللاحق أي **أولئك** والضمير **هم** مسوغان لإعطاء **من** معنى الجمع. لأننا نستطيع أن ندرج **كل** لتتحقق هذه العلاقة الدلالية التي تسمح بتحديد هذه العلاقة السياقية بين الإشاري **هؤلاء** والموصول **من**. ونكون بذلك أمام المثال بالشكل الآتي:



ومن الأمثلة المشابهة ما يلي:

1) ﴿... وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ 11﴾ سُورَةُ ٱلْحُجُرَاتِ
2) ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحاً مِّن ذَكَرٍ اَوْ انثىٰ وَهُوَ مُومِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ 40﴾ سُورَةُ غَافِرٍ
3) ﴿وَمَن لاَّ يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلاَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ اوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ 31﴾ سُورَةُ ٱلاَحْقَافِ
4) ﴿ وَمَنْ يُّوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ 9﴾ سُورَةُ ٱلْحَشْرِ

- **الإشاري تلك**

رأينا فيما سبق أن اسم الإشارة الدال على القرب **هذه** يحقق إحالة على السياق. ويأخذ هذا السياق الذي يعود عليه حيزا واسعا كما بينته الأمثلة التي قدمناها. ولا يختلف اسم الإشارة **تلك** عن **هذه**، فهو يحيل على سياقات تتوسع لتتجاوز حدود الجملة الواحدة.

ومن الأمثلة التي وردت في المدونة ما يلي:

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ لَاٰيَٰتٍ لِّلْمُومِنِينَ 2 وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ 3 وَاخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ 4

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُومِنُونَ 5﴾ سُورَةُ ٱلْجَاثِيَةِ

يقدم لنا هذا المثال صورة عن أهمية اسم الإشارة **تلك** في تحقيق النسج. ويمكن أن نلتمس قوة النسج بتقديم هذا في المثال على الشكل الآتي:

ج1 إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ لَاٰيَٰتٍ لِّلْمُومِنِينَ.....

ج2 وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ.....:تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ

ج1 وَاخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ.....

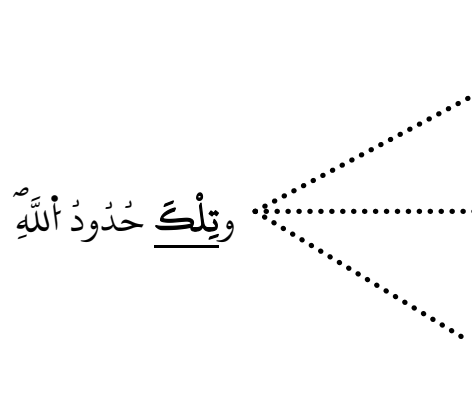
مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ

ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

وغير بعيد عن هذا المثال مثال آخر ورد في سورة الطلاق:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَاتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَّاتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يَّتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ لاَ تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً 1﴾ سُورَةُ ٱلطَّلاَقِ

فاسم الإشارة **تلك** في هذا المثال يعود على كل السياق الذي يسبقه، وهو سياق موسع يتكون من عدة جمل كما يبينه الشكل الآتي:



- **اسم الإشارة "ذلك" ودوره في تقوية النسج وإحكامه**

بينا في اسمي الإشارة الدلالة على البعد **أولئك** و **تلك** قدرتهما على الإحالة على سياقات موسعة. غير أن اسم الإشارة **ذلك** يفوقها من حيث كثرة الاستعمال. ونشير هنا إلى اسم الإشارة هذا يرد في ثلاث صور؛ فيكون بصورة مجردة أي **ذلك**، أو يصحبه كاف التشبيه فنكون أمام **كذلك**، أو يصحبه ضمير المخاطبة بتنويعاته المختلفة مثل **كذلكم**.

ولا تغير الصورتان الأخيرتان من القيمة الإحالية لهذا الإشاري، فمن أمثلة **ذلك** في إحالته الموسعة ما يلي:

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَآءَ وَالاَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلذِينَ كَفَرُواْ مِنَ النَّارِ6﴾ سُورَةُ صٓ

﴿* أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَـٰبِيعَ فِي الاَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُّخْتَلِفاً الْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرِيهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَـٰماً

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي الاَلْبَـٰبِ 20﴾ سُورَةُ الزُّمَرِ

ونجد بالنسبة للإشاري الذي يصحبه ضمير المخاطبة:

﴿لَّوَ ارَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ 5 خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالاَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ الْيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى الْيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ

مُّسَمّىً ٱلاَ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ 6 خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَاۖ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلاَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقاً مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍۚ

ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ 7﴾ سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

فهذا المثال يندرج في سياق مخاطبة لوجود القرائن الدالة على هذه المخاطبة مثل ضمير المخاطبة في **خلقكم، لكم، يخلقكم، أمهاتكم.**

ثم يأتي الإشاري **ذلك** يصحبه ضمير المخاطبة ليحيل على كل السياق الذي يسبقه، وهو سياق واسع يتكون من سلسلة من الجمل تكون صورتها الإحالية مع اسم الإشارة **ذلكم** كالآتي:

ذلكم الله ربكم ←

ج1 لَّوۡ اَرَادَ ٱللَّهُ أَنۡ يَّتَّخِذَ وَلَداً لاَّصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۙ

ج2 **سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُۖ**

ج3 خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرۡضَ بِالۡحَقِّۖ

ج4 يُكَوِّرُ ٱلَيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ

ج5 وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَيۡلِۖ

ج6 وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَالۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِے لِأَجَلٖ مُّسَمّىً

ج7 **اَلاَ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ**

ج8 خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ

ج9 ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَاۖ

ج10 وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلاَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۚ

ج11 يَخۡلُقُكُمۡ فِے بُطُونِ اُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقاً مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِے ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖۚ

أما بالنسبة لـ **كذلكم**، فإنه بالإضافة إلى تحقيقه لعلاقة إحالية سياقية بارتباطه بالسياق الذي يسبقه، فإن وجود **الكاف** يربط ما قبل **ذلك** بما بعده. لننظر مثلا:

﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ 33 إِنَّا **كَذَٰلِكَ** نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ 34﴾ سُورَةُ ٱلصَّٰٓفَّٰتِ

نلاحظ أن اسم الإشارة **ذلك** يحيل على السياق الذي يسبقه فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ويكون لمصاحبة الكاف هنا دور في تحقيق هذه العلاقة بين ما يسبق **ذلك** وما يأتي بعده بهذه الصورة:

هم في العذاب مشتركون

ك = ∩

المجرمون في العذاب مشتركون بدلالة الكاف

وهذا مثال آخر أكثر توسعا في إحالته السياقية يصاحبه فيه الإشاري **ذلك** حرف التشبيه الكاف:

﴿* وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ 114 وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ 115 وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ 116 وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ 117 وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ 118 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْاَخِرِينَ 119 سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ 120 إِنَّا **كَذَٰلِكَ** نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ 121﴾ سُورَةُ ٱلصَّٰٓفَّٰتِ[11]

نجد هنا أن اسم الإشارة **ذلك** يعود على كل السياق الذي يسبقه من الآية 114 إلى الآية 120. وهي آيات تشكل في بنائها التركيبي جملا.

منا... + نجينا.... + نصرنا.... + آتينا... + هدينا.... + تركنا.... + سلام ....

ثم يأتي حرف التشبيه ليحقق العلاقة بين ما قبل وهذا مثال آخر أكثر توسعا في إحالته السياقية يصاحبه فيه الإشاري **ذلك** حرف التشبيه الكاف وما بعده هكذا:

---

[11]– تشكل عبارة "كذلك نجزي المحسنين" تواترا في سورة الصافات يأخذ حيزا هاما من هذه السورة، ويأتي مرتبا بهذا الشكل:

قصة نوح باختصار	قصة ابراهيم	قصة موسى وهارون	قصة إلياس
إنا كذلك نجزي المحسنين	إنا كذلك نجزي المحسنين	إنا كذلك نجزي المحسنين	إنا كذلك نجزي المحسنين
من آ 75 إلى آ 80	من آ 83 إلى آ 110	من آ 114 إلى آ 121	من آ 123 إلى آ 131

وتشكل علامة تسمح بتحديد المقاطع المختلفة. ونجد مثيلا لهذا التواتر في سورة الشعراء في سياق يتكرر عقب كل قصة، وهذا السياق هو: "**إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مومنين*وإن ربك لهو العزيز الرحيم**". ينظر لتفصيل أكثر سورة الشعراء.

موسى وهارون

كـ = نفس الجزاء = مننا+نجينا+نصرنا+آتينا+هدينا+تركنا+سلام المحسنين

3. دور اسم الإشارة في تقوية النسج

تناولنا فيما سبق نماذج من الإحالة السياقية لأسماء الإشارة وبينا من خلالها أهمية الإشاري في تحقيق الإحالة الموسعة حين يعود على سلسلة من الجمل. وهذه صورة من صور النسج من حيث هو علاقات تنتج بين عناصر لاحقة وعناصر سابقة. وهناك ظاهرة أخرى رصدناها في المدونة تكون فيها سلسلة من الإشاريات المحققة لعلاقة سياقية ويصبح بذلك نسج المقطع الذي ترد فيه قويا.

ومن أمثلتها في سورة الزمر:

﴿.. قُلِ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ 14﴾

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ 15﴾

﴿وَالذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ 16 ٱلذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلذِينَ هَدِيٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلاَلْبَٰبِ 17﴾

نلاحظ أن الإشاري **ذلك** في الآية 14 يحيل على السياق الذي يسبقه، ثم يأتي الإشاري **ذلك** في الآية 15 ليحيل على السياق الذي يسبقه، ثم يأتي الإشاري **أولئك** ليحيل على السياق الذي يسبقه فتشكل بذلك سلسلة متماسكة.[12]

ومن الأمثلة الهامة التي وجدناها، ما ورد في سورة محمد:

[12]– لم نشر هنا إلا إلى الإشاري، أما مسألة الاتساق ككل فتدخل فيها عناصر أخرى مثل الوحدات المعجمية مثلا كما هو الحال في: الخاسرين، خسروا، الخسران، بالإضافة إلى الضمائر.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ 1 وَالذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ 2

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ

كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ 3﴾

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا 4

ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالذِينَ فَتَلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُّضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ 5 سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ 6 وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ 7 يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ 8

وَالذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ 9 ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ 10

أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا 11

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ 12﴾

يبين لنا هذا المثال بوضوح أهمية العائد الإشاري في تحقيق النسج عن طريق هذه السلسلة من أسماء الإشارة التي يحيل كل منها على السياق الذي يسبقه ويتحقق بذلك هذا التماسك بين الأجزاء، يسمح في نهاية الأمر ببناء انسجام للمقطع.[13]

[13]– هناك عناصر أخرى تدخل في الحسبان حين يتعلق الأمر بالاتساق. وقد أشرنا إليها في الهامش رقم: 12.

خلاصة الفصل

لقد حاولنا في هذا الفصل أن ننظر إلى أسماء الإشارة من حيث قيمتها الإحالية. وتبين لنا أن أسماء الإشارة تحيل على الخارج كما تحيل على سياقات لغوية. والذي يبدو من خلال المدونة التي اعتمدناها، ان أسماء الإشارة الدالة على القرب تنحو نحو الإحالة على الخارج، وتشكل القرائن اللغوية في هذه الحالة عاملا مساعدا على تحديد هذه الإحالة.

أما أسماء الإشارة الدالة على البعد فتكثر فيها الإحالة السياقية، ومن ثم تساهم بقوة في تحقيق الاتساق.

الفصل الثالث

العائد المعجمى ودوره فى نسيج النص

مقدمة

أشرنا ونحن نعرض نظرية هاليداي ورقية حسن حول الاتساق أن الوحدات المعجمية تلعب دورا هاما في نسج علاقات بين الجمل وتحقق بذلك الاتساق. وأشرنا كذلك إلى أن المعجم هو نظام مفتوح، أي أن الوحدات المعجمية قابلة للتنوع والزيادة على عكس غيرها من الوحدات التي تنتمي إلى قوائم معلقة مثل الضمائر وأسماء الإشارة.

وتنشأ بين وحدات المعجم علاقات مختلفة حددها هاليداي وحسن في صورتين هما التكرار والتلازم. وقد قدمنا لهما الأمثلة الموضحة حين عرضنا نظرية هذين الباحثين.

سنتتبع حركية الوحدات المعجمية في السياقات القرآنية مستفيدين مما تتميز بها العربية من خصائص من جهة، ومستفيدين من تقسيمات هاليداي وحسن التي تؤسس للعلاقات التي تنشأ بين الوحدات المعجمية، ويتعلق الأمر هنا بخاصيتي التكرار والتلازم.

وحينما ننتهي من عرض مختلف هذه الضواهر، نقوم بتحليل مجموعة من المقاطع التي حددناها في مدونتنا لننظر من خلالها كيف تتم عملية النسج استنادا إلى المعجم واستنادا إلى أسماء الإشارة.

1. العلاقات الاتساقية عن طريق التكرار

يعرف المعجم صورا متعددة للتكرار فقد يكون تكرارا تاما تعود فيه وحدة معجمية على مثيلتها تماما، وقد يكون انتقالا من النكرة إلى المعرفة. وقد تصنف الوحدة الموجودة في السياق اللاحق قيمة للوحدة في السياق السابق.

1.1. في حالة التكرار التام

يرد في السياقات القرآنية تكرار وحدات معجمية تكرارا تاما بين السياق اللاحق والسياق السابق ومن أمثلتها:

﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ **ٱلْجِنَّةِ** نَسَبًاۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ **ٱلْجِنَّةُ** إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ 158﴾ سُورَةُ ٱلصَّٰٓفَّٰتِ

فكلمة **الجنة** في المثال توزع بين جملتين؛ جملة " وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ **ٱلْجِنَّةِ** نَسَبًاۚ " وجملة " وَلَقَدْ عَلِمَتِ **ٱلْجِنَّةُ** إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ". وبهذا التوزيع تتعلق العلاقة الاتساقية بين الجملتين لتشكلا بذلك وحدة معنوية .

وعلى شاكلة هذا المثال هناك أمثلة أخرى وردت في مدونتنا من بينها:

﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ 56﴾ سُورَةُ غَافِرٍ

﴿ٱللَّهُ ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلَيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراًۚ اِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ 61﴾ سُورَةُ غَافِرٍ

﴿اَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَاذَنْ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلاَ كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌۗ 19 تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ 0﴾ سُورَةُ ٱلشُّورىٰ

﴿لَقَدْ جِيْنَٰكُم بِالْحَقِّۖ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَۖ 78﴾ سُورَةُ ٱلزُّخْرُفِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ !جْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّۖ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ ﴾ سُورَةُ ٱلْحُجُرَاتِ

﴿وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍۖ اِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِے مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔاۖ ﴾ سُورَةُ ٱلنَّجْمِ

يتعلق الأمر في هذه الأمثلة التي قدمناها بتكرار تام لوحدة معجمية يمكن إبراز دوره الاتساقي في الجدول الآتي:

موقع المثال	السياق السابق	السياق اللاحق	الوحدة المعجمية المحققة للاتساق
سُورَةُ غَافِرٍ	لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ	وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ	الناس
سُورَةُ غَافِرٍ	اللَّهُ ٱلذِے جَعَلَ لَكُمُ ٱلَيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً اِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ	اِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ	الناس الله
سُورَةُ ٱلشُّورىٰ	وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ	تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ	الظالمين
سُورَةُ ٱلزُّخْرُفِ	لَقَدْ جِيْنَٰكُم بِالْحَقِّ	وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ	الحق
سُورَةُ ٱلْحُجُرَاتِ	يَٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ ٱلظَّنِّ	إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ	الظن
سُورَةُ ٱلنَّجْمِ	وَمَا لَهُم بِهِے مِنْ عِلْمٌ اِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ	وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِے مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئاً	الظن

2.1. الانتقال من النكرة إلى المعرفة

وهناك صور أخرى للتكرار يتم فيها الانتقال من النكرة إلى المعرفة وتصبح هذه الوحدة معرفة محققة للعلاقة الاتساقية بين السياق السابق والسياق اللاحق. ومن أمثلتها: ﴿ءَاُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ **كَذَّابٌ اَشِرٌ** 25 سَيَعْلَمُونَ غَداً مَّنِ **ٱلْكَذَّابُ ٱلاَشِرُ** 26﴾ سُورَةُ ٱلْقَمَرِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ **رَسُولًا** شَٰهِداً عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ **رَسُولًا** 14 فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ **ٱلرَّسُولَ** فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذاً وَبِيلًا 15﴾ سُورَةُ ٱلْمُزَّمِّلِ

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا **يَوْماً** عَبُوساً قَمْطَرِيراً 10 فَوَقَٰيهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ **ٱلْيَوْمِ** وَلَقَّٰيهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً 11﴾ سُورَةُ ٱلإِنسَٰنِ

ففي جميع هذه الأمثلة هناك انتقال من النكرة في السياق السابق إلى المعرفة بواسطة أداة التعريف أو أداة التعريف مصحوبة بالإشاري[1]، وفي كل الحالات هناك تحقيق للعلاقة الاتساقية. وقد يتجاوز هذا الانتقال العلاقة الاتساقية ليحقق خاصية أخرى في النص وهي خاصية التدرج.

يقدم الباحث مفتاح بن عروس مثالا من القرآن على هذه الميزة[2] لا بأس أن نورده هنا لنتبين هذا الدور لعملية الانتقال من النكرة إلى المعرفة.

﴿* ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ سُورَةُ ٱلنُّورِ

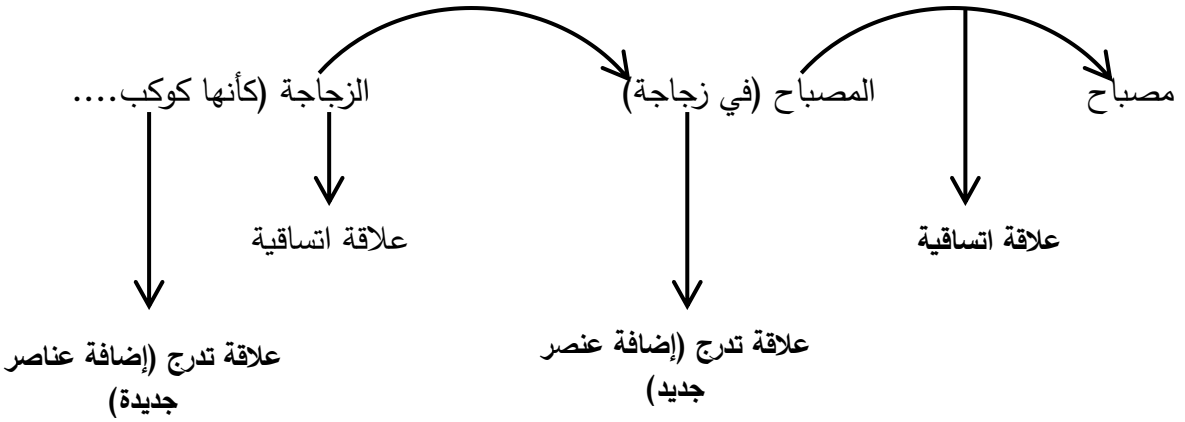
يلاحظ في المثال أن كلمة **مصباح** أصبحت في السياق اللاحق **المصباح** وكلمة **زجاجة** أصبحت **الزجاجة** وبهذا الانتقال تتحقق العلاقة الاتساقية، وبالإضافة إلى هذه العلاقة الاتساقية هناك تدرج وإضافة معلومات جديدة تتأسس على العنصر المعرّف. ويمثلها الباحث مفتاح بن عروس بهذا الشكل[3]:

---

[1]– الانتقال من نكرة إلى أل + اسم أو (إشاري+ال)+ اسم.

[2] – ينظر الاتساق والانسجام في القرآن ص 335 وما بعدها.

[3] – نفسه ص 335.

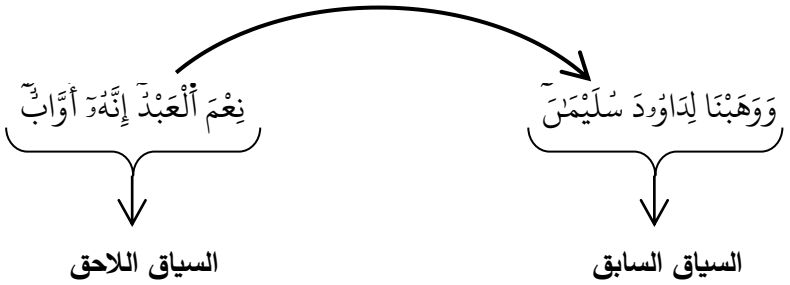


2. الاتساق بواسطة الأسماء العامة

رأينا ونحن نعرض مسائل الاتساق المعجمي عند هاليداي وحسن بأن اللغة تملك وحدات لها من الدلالة ما يسمح لها باحتواء وحدات أخرى محققة بذلك علاقات اتساقية.[4] وقد تحتوي هذه الوحدات سياقات واسعة تتجاوز الجملة الواحدة. فمن أمثلة احتواء وحدات لاحقة لوحدات سابقة:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۖ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ 29﴾ سُورَةُ صٓ

ففي هذا المثال تنشأ العلاقة بين كلمة **العبد** واسم العلم **سليمان**، وهذه علاقة بين عموم وخصوص ذلك أن كلمة **العبد** تتضمن كلمة **سليمان** وغيره. ومن هذا المنطلق تتحقق هذه العلاقة الاتساقية بين السياقين:



[4] – يعالج الباحث مفتاح بن عروس مسائل العموم والخصوص تحت عنوان "علاقة الاحتواء". لمزيد من التفصيل ينظر: الاتساق النصي– دراسة لظاهرة العائد في العربية –مذكرة ماجيستير، ص 213–214.

وغير بعيد عن هذا المثال، مثال آخر في سورة الحاقة:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ 3 فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ 4 وَأَمَّا **عَادٌ** فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ 5 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى **الْقَوْمَ** فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ 6﴾ سُورَةُ الْحَاقَّةِ

نلاحظ في هذا المثال أن كلمة **القوم** ترتبط بكلمة **عاد** بنفس الكيفية التي ارتبطت فيها كلمة **العبد** بكلمة **سليمان** في المثال السابق. فـ: عاد قوم، وثمود قوم و س قوم، و ص قوم، وبحكم هذا الاحتواء حققت كلمة **القوم** في المثال هذه العلاقة الاتساقية بين السياقين.

بَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ 4 وَأَمَّا **عَادٌ** فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ 5 سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً

سياق سابق

فَتَرَى **الْقَوْمَ** فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ 6

سياق لاحق

وبالإضافة إلى هذه العلاقة التي تنشأ بين وحدتين، فإننا نجد في اللغة وحدات ترتبط بسياقات واسعة. وقد وجدنا في مدونتنا بعضا منها لا بأس أن نعرضها هنا:

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ **الْبَلَاءُ الْمُبِينُ** 106﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ترتبط عبارة **البلاء** هنا بسياق قبلي واسع يتضمن جزءا من قصة ابراهيم مع ابنه:

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ 102 فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ 103 وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ 104 قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ 105 إِنَّ هَذَا لَهُوَ **الْبَلَاءُ الْمُبِينُ** 106﴾ سُورَةُ الصَّافَّاتِ

ونلاحظ هنا أن موقع عبارة **البلاء المبين** تأتي بعد عنصرين يحققان بدورهما علاقة إحالية سياقية تحقق هي بدورها الاتساق من حيث ربطها السياق اللاحق الذي يتضمن اسم الإشارة "هذا"، ونكون أمام هذه الصورة:



وغير بعيد عن هذا المثال ما نجده في سورة النجم مع عبارة **هذا الحديث** في الآية:

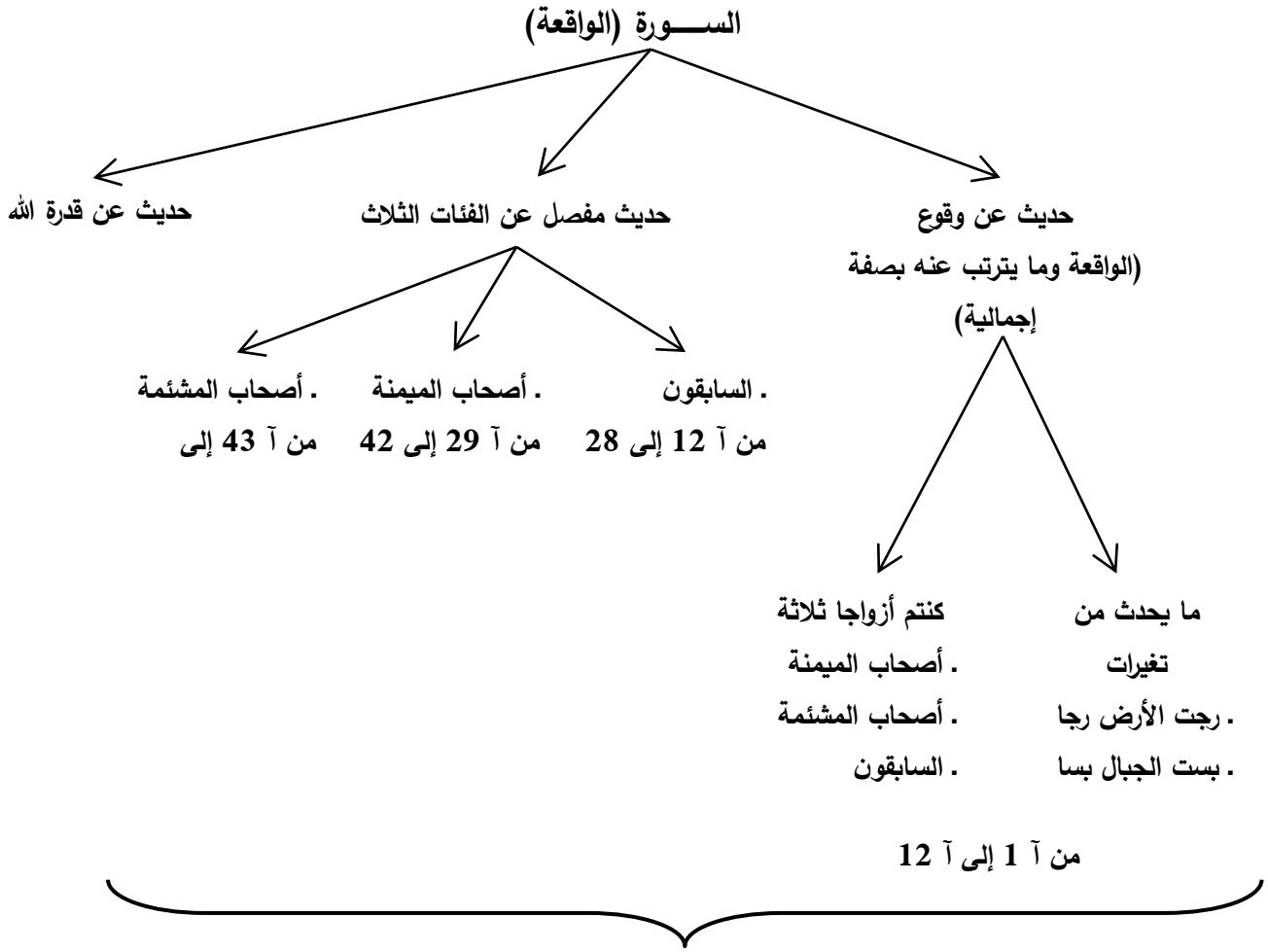
﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ 58﴾ سُورَةُ ٱلنَّجۡمِ

فإذا نظرنا إلى موقع الآية فإنها تقع في نهاية السورة، ويسبقها 57 آية، وتمثل هذه الآيات السياق القبلي الذ تحيل عليه عبارة **هذا الحديث**.

وترد هذه العبارة نفسها أي **هذا الحديث** في سورة الواقعة في قوله تعالى:

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ 84﴾ سُورَةُ ٱلۡوَاقِعَةِ

يمثل السياق القبلي لهذه العبارة حديثا عن وقوع يوم القيامة وما يترتب عنه من حيث تقسيم الناس إلى ثلاثة فئات سماها القرآن السابقون، أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة، وبسط الحديث عن كل فئة من حيث الثواب والعقاب ثم حوصل كل ذلك بعبارة **هذا الحديث**. ويمكن تمثيله بشكل أحاديث:



أفبهذا الحديث أنتم مدهنون

وغير بعيد عن المثالين السابقين مثال بواسطة عبارة **تلك الأمثال** في قوله تعالى:

﴿لَوَ اَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ ٱلاَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ 21﴾ سُورَةُ ٱلْحَشْرِ

يورد الطاهر بن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" تخريجا لـ **تلك الأمثال** يقول: «وجملة تلك الأمثال نضربها للناس تذييل لأن **ما قبلها سيق مساق المثل** فذيل بأن الأمثال التي يضربها الله في كلامه مثل المثل أراد منها أن يتفكروا فإن لم يتفكروا بها فقد

سُجل عليهم عنادهم ومكابرتهم فالإشارة بتلك إلى مجموع ما مر على أسماعهم من الأمثال الكثيرة، وتقدير الكلام: **ضربنا هذا مثلا [وتلك الأمثال نضربها للناس»**.[5]

ومن ثم تنشأ العلاقة بين السياقين:

- السياق السابق: لَوَ اَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ
- السياق اللاحق: وَتِلْكَ ٱلاَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ

وتتحقق بذلك العلاقة بواسطة كلمة **الأمثال** ذات الدلالة العامة.

3. الاشتقاق ودوره في بناء الاتساق والسلاسل الاتساقية

تعرف العربية بخاصية الاشتقاق، أي ظهور المادة اللغوية الواحدة بصورة مختلفة حسب السياقات التي تندرج فيها ، وهذه الميزة تبين المرونة الكبرى التي تتميز بها هذه اللغة.

ويرد هذا التنويع في صيغ المادة اللغوية في السياقات القرآنية بشكل واسع ويكون أحيانا بين عنصرين من نفس المادة اللغوية كما هو الحال في:

﴿وَلَقَدَ اَرْسَلْنَا فِيهِم **مُّنذِرِينَ** 72 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ **ٱلْمُنذَرِينَ** 73﴾ سُورَةُ ٱلصَّٰٓفَّٰتِ

﴿... قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيَ **أَرَىٰ** فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيَ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا **تَرَىٰ**ۚ ﴾ سُورَةُ ٱلصَّٰٓفَّٰتِ

﴿لَٰكِنِ ٱلذِينَ **اتَّقَوْاْ** رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلاَنْهَٰرُۖ **وَعْدَ ٱللَّهِۖ** لاَ يُخْلِفُ **ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَۖ** 19﴾ سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

﴿* أَمِ **اتَّخَذُواْ** مِن دُونِ ٱللَّهِ **شُفَعَآءَۖ** قُلَ اَوَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلاَ يَعْقِلُونَ 40 قُل لِّلَّهِ **ٱلشَّفَٰعَةُ** جَمِيعاًۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ 41﴾ سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

﴿أَمَ **اَبْرَمُوٓاْ** أَمْراً فَإِنَّا **مُبْرِمُونَ** 79﴾ سُورَةُ ٱلزُّخْرُفِ

---

[5] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار ابن حزم، تونس، ط 1، 2021، مج 10، ص 435.

ولئن كانت العلاقة ناشئة بين عنصرين من نفس المادة اللغوية ولكن يتوزعان في سياقات متتابعة تسمح بنسج علاقة اتساقية فإن تعدد هذه الثنائيات في بعض السياقات القرآنية تسمح لنا بإدراك مدى قوة النسج. لننظر مثلا:

﴿* وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُومِنِينَ **إِقْتَتَلُواْ** فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنْ بَغَتِ إِحْدٰيهُمَا عَلَى ٱلاُخْرٰى **فَقَٰتِلُواْ** ٱلتِي تَبْغِي حَتَّىٰ **تَفِيٓءَ** إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن **فَآءَتْ** فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ **وَأَقْسِطُوٓاْ** إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ **ٱلْمُقْسِطِينَ** 9﴾ سُورَةُ ٱلْحُجُرَاتِ

فنلاحظ أن هنك ثلاث مواد لغوية ظهرت في ثلاث ثنائيات هي:

اقتتلوا – قاتلوا

تفـــئ – فاءت

اقسطوا – المقسطين

وقد تتجاوز العناصر المشتركة في نفس المادة اللغوية الاثنين وتتوزع في السياقات محققة بذلك العلاقات الاتساقية كما هو الحال في الأمثلة التالية:

﴿**يَمُنُّونَ** عَلَيْكَ أَنَ اَسْلَمُواْۖ قُل لاَّ **تَمُنُّواْ** عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ **يَمُنُّ** عَلَيْكُمْ أَنْ هَدٰيكُمْ لِلاِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ 17﴾ سُورَةُ ٱلْحُجُرَاتِ

﴿اَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ **نَّتَرَبَّصُ** بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ 28 قُلْ **تَرَبَّصُواْ** فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ **ٱلْمُتَرَبِّصِينَ** 29﴾ سُورَةُ ٱلطُّورِ

﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ إِسْتَطَعْتُمْ أَن **تَنفُذُواْ** مِنَ اَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ **فَانفُذُواْ** لاَ **تَنفُذُونَ** إِلاَّ بِسُلْطَٰنٍ 31﴾ سُورَةُ ٱلرَّحْمَٰن

﴿إِنَّهُمْ **يَكِيدُونَ كَيْداً** 15 وَ**أَكِيدُ كَيْداً** 16﴾ سُورَةُ ٱلطَّارِقِ

﴿**فَذَكِّرْ** إِن نَّفَعَتِ **ٱلذِّكْرٰى** 9 **سَيَذَّكَّرُ** مَنْ يَّخْشٰى 10﴾ سُورَةُ ٱلاَعْلَى

وتقدم لنا سورة "الكافرون" نموذجا قويا لدور الاشتقاق في نسج العلاقات الاتساقية لما ورد فيها من تكرار نفس المادة اللغوية عبر كامل السورة. لننظر:

﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ 1 لَآ **أَعْبُدُ** مَا **تَعْبُدُونَ** 2 وَلَآ أَنتُمْ **عَـٰبِدُونَ** مَآ **أَعْبُدُ** 3 وَلَآ أَنَا **عَابِدٌ** مَّا **عَبَدتُّمْ** 4 وَلَآ أَنتُمْ **عَـٰبِدُونَ** مَآ **أَعْبُدُ** 5﴾ سُورَةُ ٱلْكَـٰفِرُونَ

نلاحظ كيف توزعت نفس المادة اللغوية عبر كامل الآيات من 2 إلى 5 مشكلة بذلك نسيجا يعضد النسيج المبني على المقابلة[6]

[6]– بُنيت هذه السورة على مقابلة بين أنا (=الرسولﷺ) وأنتم (=الكافرون). ويحدد طرفا هذه العلاقة التبليغية عبارة قل **يا أيها الكافرون** لتأتي بعد كل العناصر الدالة على المقام وفي مقدمتها الضميران أنا وأنتم، فيكون بناء السورة بهذا الشكل:

أنا	أنتم
لا أعبد ما تعبدون	لستم عابدين ما أعبد
لست عابدا ما عبدتم	لستم عابدين ما أعبد
أعبد ما لا تعبدون	عابدون ما لا أعبد
عابد ما لم تعبدوا	عابدون ما لا أعبد

وهذه العلاقة التقابلية المؤسسة على النفي والإثبات يعضدها دوران نفس المادة اللغوية عبر كامل الآيات في صورتين؛ صورة تكرارية عن طريق الاشتقاق وترتبط فيها كل العناصر ببعضها، وصورة تكرار تام. فنكون بذلك أمام هاتين الصورتين بهذا الشكل:

- التكرار عن طريق الاشتقاق: أعبد، تعبدون، عابدون، أعبد، عابد، عبتم، عابدون، أعبد.
- التكرار التام: أعبد، أعبد، أعبد/ عابدون، عابدون

ولم يبق إلا **تعبدون** وهي متعلقة بـ **أنتم = الكافرون**، و **عابد** وهي متعلقة بـ **أنا = الرسول** ﷺ

4. التقابل ودوره في نسيج النص

1.4. الطباق والمقابلة في البلاغة العربية

اهتمت البلاغة العربية بالتضاد تحت تسميتين مختلفتين هما الطباق والمقابلة. وترد في كتب البلاغة وخاصة التعليمية منها أمثلة لهذين النوعين باعتبارهما من المحسنات البديعية التي ترتبط بالمعنى.

ويفرق عادة بين الطباق والمقابلة انطلاقا من عدد العناصر التي تتقابل فيما بينها. فإذا كان التقابل بين عنصرين فهو الطباق.

ويقدم صاحب كتاب **جواهر البلاغة**[7] تعريفا للطباق مع التمثيل، وتعريفا للمقابلة كذلك مع التمثيل، لا نرى مانعا من أن نوردهما هنا لاختصارهما. فالطباق هو " الجمع بين الشيء وضده في الكلام، وهما قد يكونان اسمين نحو ﴿هُوَ ٱلۡاَوَّلُ وَالۡاٰخِرُ﴾ (الحديد 3)، ﴿وَتَحۡسِبُهُمۡ أَيۡقَاظاً وَهُمۡ رُقُودٌ ﴾ (الكهف 18)، أو فعلين نحو ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ 42﴾ (سُورَةُ ٱلنَّجۡمِ) ، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ 13﴾ (سُورَةُ ٱلۡاَعۡلَي)، أو حرفين نحو ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِي عَلَيۡهِنَّ بِالۡمَعۡرُوفِ﴾ (سُورَةُ ٱلۡبَقَرَةِ 226)، أو مختلفين نحو ﴿وَمَنۡ يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ 34﴾(سُورَةُ ٱلرَّعۡدِ).

أما المقابلة فهي " أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر تم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنۡ اَعۡطِيٰ وَاتَّقِيٰ 5 وَصَدَّقَ بِالۡحُسۡنِيٰ 6 فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرِيٰ 7 وَأَمَّا مَنۡ بَخِلَ وَاسۡتَغۡنِيٰ 8﴾(سُورَةُ ٱلۡيۡلِ 5-8)، وكقوله أيضا ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾(سُورَةُ ٱلۡاَعۡرَافِ 157)

---

[7]- ينظر: أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في البيان والبيان والبديع، تح يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2011، ص 303- 304.

نلاحظ من خلال الأمثلة التي قدمناها أن مسألة الطباق والمقابلة عنده وعند غيره ممن اهتم بهذه الظواهر لا تتجاوز كونها ظواهر تحسينية للكلام، ولذلك لم ينظر إلى مواقعها في سياقات الكلام. والواقع أن المقابلة أيّا كان نوعها؛ سواء كانت مقابلة عنصر بعنصر أو عدة عناصر بعدة عناصر، فإن توزعها في السياقات يؤدي دورا كبيرا في اتساق النصوص.

2.4. التقابلات في السياقات القرآنية

سنتتبع هذه التقابلات من خلال عرض أمثلتها التي وردت في مدونتنا.

فمن أمثلة تقابل عنصر بعنصر نجد:

﴿.. قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ **بِضُرٍّ** هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ **ضُرِّهِۦٓ** أَوۡ أَرَادَنِي **بِرَحۡمَةٍ** هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ **رَحۡمَتِهِۦۚ** قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ 36﴾ سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ **ٱشۡمَأَزَّتۡ** قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ **يَسۡتَبۡشِرُونَ** 42﴾ سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا 17 ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا 18﴾ سُورَةُ نُوحٍ

إذا وضعنا هذه الأمثلة في جدول يتبين لها موقع العناصر المتقابلة، ومن ثم يظهر لنا دورها في تحقيق الاتساق وبين السياقات المتعالقة

المثال	الجزء الأول	الجزء الثاني
01	إِنۡ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ **بِضُرٍّ** هَلۡ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ **ضُرِّهِۦٓ**	**(أو)** أَرَادَنِي **بِرَحۡمَةٍ** هَلۡ هُنَّ مُمۡسِكَٰتُ **رَحۡمَتِهِۦۚ**
02	وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ **ٱشۡمَأَزَّتۡ** قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ	**(و)** إِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ **يَسۡتَبۡشِرُونَ**
03	وَٱللَّهُ **أَنۢبَتَكُم** مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ **نَبَاتٗا**	**(ثم)** يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ **إِخۡرَاجٗا**

وهناك صورة أخرى لتقابل عنصر بعنصر عن طريق النفي، إذ يكون العنصر الأول مثبتا والثاني منفيا. ويعرف هذا في المصطلح البلاغي بطباق السلب. ومن أمثلته:

﴿.. قُلْ هَلْ يَسْتَوِے ٱلَّذِينَ **يَعْلَمُونَ** وَالَّذِينَ **لاَ يَعْلَمُونَ**ۗ ﴾ سُورَةُ ٱلزُّمَرِ

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلاَمْرِ **فَاتَّبِعْهَاۖ** وَ **لاَ تَتَّبِعَ** اَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ 17﴾ سُورَةُ ٱلْجَاثِيَةِ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ **لاَ يَظْلِمُ** ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ **يَظْلِمُونَ**ۗ 44﴾ سُورَةُ يُونُسَ

ومن أمثلة تقابل عنصرين بعنصرين:

﴿وَمَا يَسْتَوِے ٱلاَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ 57 وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلاَ ٱلْمُسِےٓءُۗ قَلِيلًا مَّا يَتَذَكَّرُونَۗ 58﴾ سُورَةُ غَافِرٍ

﴿لِكُلِّ إِمْرِےٍ مِّنْهُمْ يَوْمَيِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِۖ 37 وُجُوهٌ يَوْمَيِذٍ **مُّسْفِرَةٌ** 38 **ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌۖ** 39 وَوُجُوهٌ يَوْمَيِذٍ عَلَيْهَا **غَبَرَةٌ** 40 **تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌۖ** 41 اوْلَٰيِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُۖ 42﴾ سُورَةُ عَبَسَ

﴿قَدَ **اَفْلَحَ** مَن **زَكَّيٰهَا** 9 وَقَدْ **خَابَ** مَن **دَسَّيٰهَاۖ** 10﴾ سُورَةُ ٱلشَّمْسِ

نلاحظ في المثال الأول من هذه المجموعة صورتين للتقابل؛ أولهما يقع في الآية 57 وهي من الناحية التركيبية جملة واحدة تتكون من فعل وفاعل هكذا:

وما يستوي الأعمى والبصير ← الأعمى ≠ البصير

ثم تأتي الآية 58، وهي أيضا جملة من الناحية التركيبية لأن أصل التركيب هكذا:

ما يستوي الأعمى و البصير

و (ما يستوي) الذين آمنو وعملوا الصالحات و لا المسيء

ثم تأتي العناصر المتقابلة لتحقق الاتساق بين الجملتين بهذا الشكل:

وَمَا يَسْتَوِے ٱلاَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ و وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلاَ ٱلْمُسِےٓءُۗ

↓ ↓

اتساق عن طريق التركيب

اتساق بنوي بمفهوم هاليداي

+

التقابل الأعمى / البصير

اتساق عن طريق التركيب

+

التقابل بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات/ المسيء

ثم يتحقق الاتساق بواسطة التقابل بين الجملة الأولى والجملة الثانية

- **المقابلات الموسعة**

ج1 ..... الأعمى والبصير ج2 الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء

رأينا في الأمثلة السابقة حالات تقابل بين وحدة ووحدة أو وحدتين ووحدتين. وتوفر لنا المدونة مقابلات موسعة تتجاوز الوحدات لتصبح تقابلا بين مقاطع يبنى كل مقطع بواسطة مختلف العلاقات حتى إذا تم بناؤه قابله مقطع آخر يبنى هو بدوره كما بُني المقطع الأول ولكن يقابل هذا المقطع الذي سبقه.[8] ومن أمثلة هذا التقابل:

﴿* فَأَمَّا مَنْ اوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ 18 إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ 19 فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ 20 فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٖ 21 قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ 22 كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ 23 وَأَمَّا مَنْ اوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ 24 فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ اوتَ كِتَٰبِيَهْ 25 وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ 26 يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ 27 مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ 28 هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ 29﴾ سُورَةُ الْحَآقَّةِ

يتحدد المقطعان هنا بواسطة **أما** ويتحقق التقابل بينهما ابتداء من **أوتي كتابه،** ويسمح لنا هذا بتقديم هذين المقطعين بهذا الشكل:

---

[8]– يورد الباحث مفتاح بن عروس نموذجا لهذا التقابل وأهميته في الاتساق نوردها هنا كما يلي:

السياق 1: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٦٧ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٞ مُّقِيمٞ ٦٨﴾

السياق 2: ﴿كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةٗ وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلٗا وَأَوْلَٰدٗا فَٱسْتَمْتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَؤُاْ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾

السياق 3: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدْنٖۚ وَرِضْوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

يتقابل سياق 1 مع سياق 3 كما هو واضح، ويرتبط سياق 3 بسياق سابق للسياق 1 إذ أنه يندرج في نفس الوحدة الخطابية التي تسبق سياق 1 وهي هذا الخطاب الموجه بواسطة ضمير المخاطب **أنتم** في سياق الرد على المنافقين في قوله: قل **استهزئوا إن الله مخرج ما كنتم** تحذرون، وقوله: **قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.**

أمّـــا

من أوتي كتابه بيمينه – عيشة راضية – جنة عالية قطوفها دانية. – كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية **المقطع 1** **مقام رضا واطمئنان**	≠	من أوتي كتابه بشماله – يا ليتني لم أوت كتابيه – لم أدر ما حسابه. – ليتها كانت القاضية – ما أغنى عني ماليه – هلك عني سلطانية **المقطع 2** **مقام حسرة**

وغير بعيد عن المثال السابق هذا المثال:

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا 37 فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ 38 وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ 39 فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ 40﴾ سُورَةُ ٱلنَّـٰزِعَـٰتِ

يتحدد المقطعان بواسطة **أما** كما يأتي:

أمّـــا

من طغى وآثر الحياة الدنيا – الجحيم هي المأوى	≠	من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى – الجنة هي المأوى

وتتميز بعض السور القصار ببنائها على التقابل في معظمها كما هو الحال في سورة المطففين، إذ يشكل السياق من الآية 7 إلى الآية 35 جزءين؛ يتشكل كل جزء من مقطعين متقابلين بهذا الشكل:

الجزء الأول (من الآية 7 إلى الآية 28)

إن كتاب الفجار لفي سجين – ويل يومئذ للمكذبين – بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون. – إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. – إنهم لصالوا الجحيم. – يقال هذا الذي كنتم به تكذبون	≠	إن كتاب الأبرار لفي عليين ... – إن الأبرار لفي نعيم – على الأرائك ينظرون – تعرف في وجوههم نظرة النعيم – يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك – ومزاجه من تسنيم
المقطع 1		**المقطع 2**

الجزء الثاني (من الآية 29 إلى الآية 35)

إن الذين أجرموا – كانوا من الذين آمنوا يضحكون – إذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين – إذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون	≠	فاليوم الذيم آمنوا – من الكفار يضحكون – على الأرائك ينظرون
المقطع 1		**المقطع 2**

وكذلك الحال في بداية سورة الغاشية، إذ يتقابل فيها مقطعان يشغلان حيزا من الآية 2 إلى الآية 16

– وجوه يومئذ خاشعة – عاملة ناصبة – تصلى نارا حامية – تسقى من عين آنية – ليس لهم طعام إلا من ضريع – لا يسمن ولا يغني من جوع	≠	– وجوه يومئذ ناعمة – لسعيها راضية – في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية – فيها عين جارية – فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة
المقطع 1		**المقطع 2**

ونشير هنا إلى أن تتبع هذه المقاطع المتقابلة لا يتسع له هذا العمل، وسنكتفي في نهاية هذه النقطة بعرض مثال مفصل لكيفية نسج كل مقطع من المقاطع المتقابلة من سورة الرعد.

المقطعان المتقابلان من سورة الرعد

المقطع الأول

ٱلذِينَ	يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ 22
و	
ٱلذِينَ	يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ 23
و	
ٱلذِينَ	صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ
أُوْلَٰٓئِكَ	لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ 24

جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ 25

يقدم الطاهر بن عاشور في تفسيره **التحرير والتنوير** تفسيرا لهذين المقطعين انطلاقا من البنية التركيبية. يقول: «يجوز أن تكون "الذين يوفون" ابتداء كلام فهو استئناف ابتدائي... ولذلك ذكر في هذه الجمل حال فريقين في المحامد والمساوئ ليظهر أن نفي التسوية بينهما في الجملة السابقة ذلك النفي المراد به تفضيل أحد الفريقين على الآخر هو نفي مؤيد بالحجة، وبذلك يصير موقع هذه الجملة مفيدا تعليلا لنفي التسوية المقصود منه تفضيل المؤمنين على المشركين فيكون قوله:

الذين يوفون مسندا إليه وكذلك ما عطف عليه، وجملة **أولئك لهم عقبى الدار** مسندا»[9]

[9]– الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، مج 6، ص 89.

المقطع الثـــاني

ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ

و

يَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ

و

يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ

أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ 26

ونستطيع أن نتتبع النسج في المقطعين استنادا إلى هذه الإشارة من جهة واستنادا إلى ما قدمناه من تحاليل لمسألة الاتساق عامة كما يلي:


ٱلذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَ لاَ يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ
و
ٱلذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ
و
ٱلذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَ أَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرّاً وَعَلَانِيَةً وَ يَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ
المقطع الأول
و
ٱلذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ
و
يَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
و
يُفْسِدُونَ فِي ٱلاَرْضِ
أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ
المقطع الثاني
تقابل

5. تضافر العناصر العائدية في تحقيق النسج وتقويته

رأينا في الأمثلة السابقة مجموعة من العناصر العائدية التي تحقق الاتساق، وتعلق الأمر على وجه التحديد بأسماء الإشارة من جهة والوحدات المعجمية من جهة أخرى. [10] وقد نظرنا إلى هذه العناصر منفردة. ولا نستطيع أن نرسم صورة واضحة عن دورها في نسيج النص إلا إذا أدرجناها مجتمعة في السياقات القرآنية من خلال المدونة التي اعتمدناها.

ومن هنا سننظر إلى هذه العناصر مجتمعة في السياقات التي تندرج فيها ونلتمس من خلالها أهميتها في تحقيق النسج، وستكون عمدتنا في ذلك مجموعة من الأمثلة نوردها تباعا، ونبين من خلالها صور النسج المختلفة.

[10]– لا نهتم هنا بجميع العناصر التي تحقق النسج في النص مثل الضمائر والأسماء الموصولة وبعض الوحدات الأخرى التي تنتمي إلى قوائم مغلقة مثل الفعل الفارغ " فعل" وصوره الاشتقاقية المختلفة، أو بعض الوحدات الأخرى التي تحيل إحالة موسعة مثل " يومئذ" و "حينئذ" بالإضافة إلى العناصر التي تربط الجمل في الحدود مثل العطف.

- المثال الأول: [11]

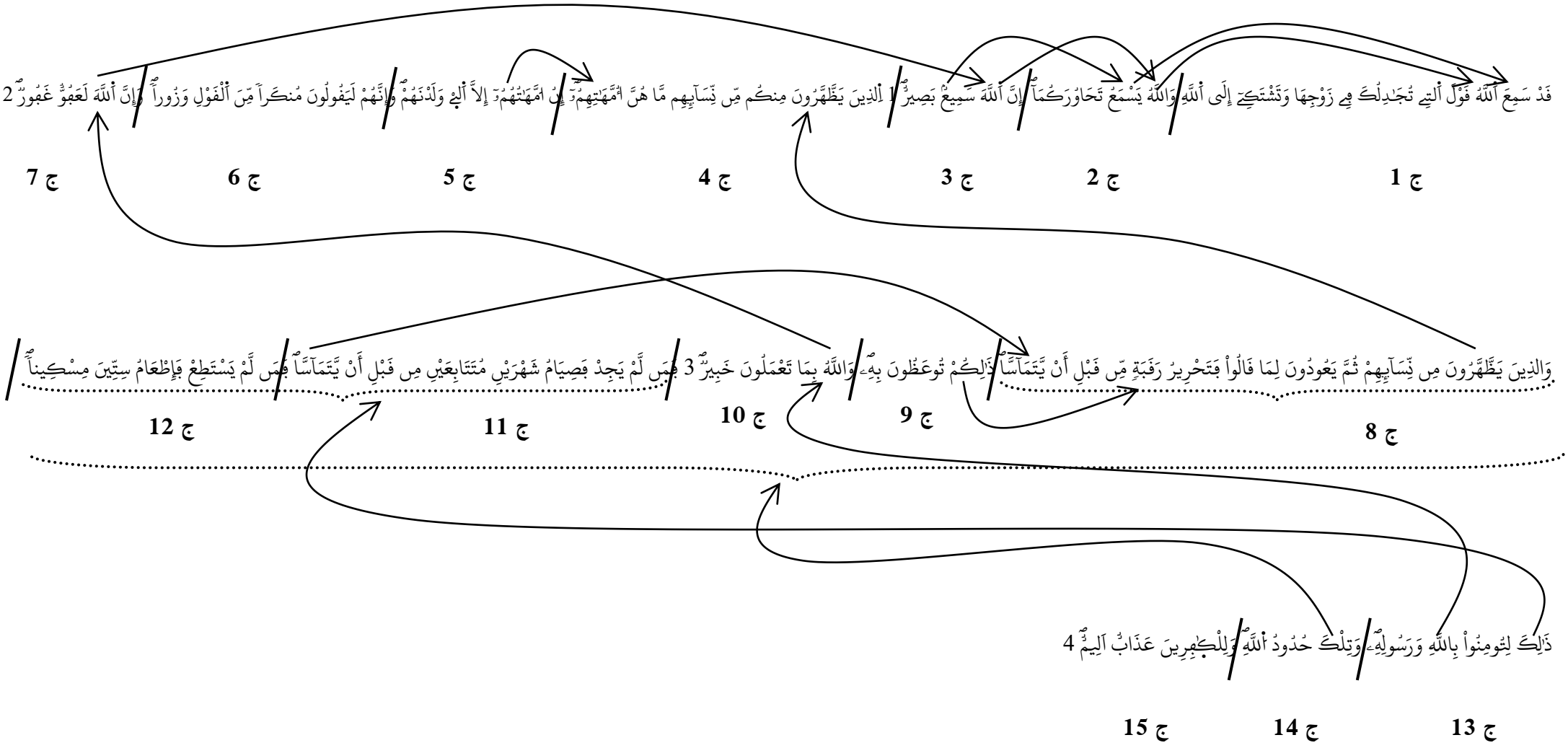
﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ 1 ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۖ إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ 2 وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ 3 فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ شَهۡرَيۡنِ مُتَتَابِعَيۡنِ مِن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۖ فَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ فَإِطۡعَامُ سِتِّينَ مِسۡكِينٗاۚ ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ 4﴾ سُورَةُ ٱلۡمُجَادلَةِ

---

[11] – هناك مجموعة من الإشارات في تفسير التحرير والتنوير (مج 11) تبين لنا مدى إدراكه لمختلف العلاقات التي تنشأ بين الجمل. وقد رصدنا مجموعة من السياقات ترتبط بهذه الإشارات نوردها مختصرة هنا.

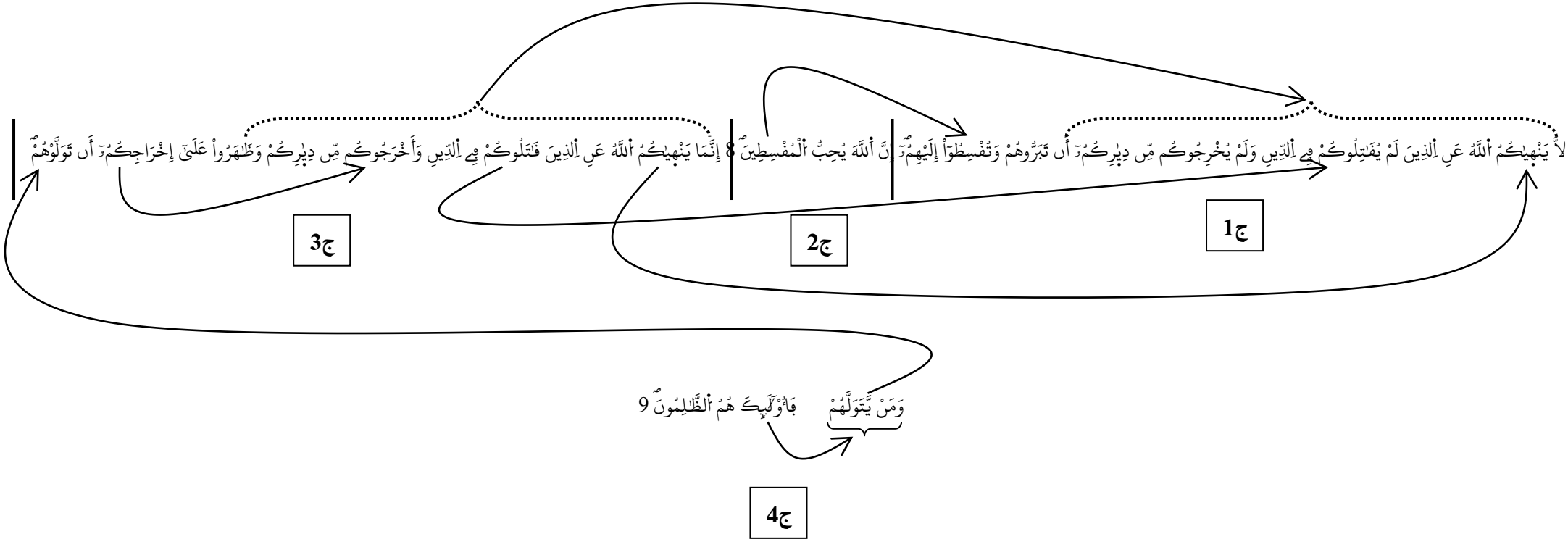
- ... وتكرير اسم الجلالة في موضع إضماره ثلاث مرات لتربية المهابة وإنارة تعظيم منته تعالى ودواعي شكره (ص 346).
- تتنزل جملة "الذين يظهرون منكم من نسائهم" وما يتم أحكامها منزلة البيان لجملة ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ سُورَةُ ٱلۡمُجَادلَةِ 1 لأن فيها مخرجا مما لحق بالمجادِلة من ضرر بظهار زوجها، وإبطالا له ولها أيضا موقع الاستئناف البياني لجملة قد سمع الله يثير سؤالا في النفس أن تقول: فماذا نشأ عن استجابة الله لشكوى المجادِلة فيُجاب بما فيه المخرج لها منه (ص 346).
- وجملة مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۚ خبر عن الذين (ص 348).
- وجملة إِنۡ أُمَّهَٰتُهُمۡ ....الخ واقعة موقع التعليل لجملة مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۚ وهو تعليل للمقصود من هذا الكلام أعني إبطال التحريم بلفظ الظهار (ص 348-349).
- وزيد صنيعهم ذما بقوله: وَإِنَّهُمۡ لَيَقُولُونَ مُنكَرٗا مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗاۚ توبيخا لهم على صنيعهم (ص 349)
- وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ عطف على جملة يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمۡۚ (ص 351).
- وثم عاطفة جملة يعودون على جملة يظهرون. (ص 351).
- ذلكم عائد إلى تحرير رقبة (ص 354).
- ذَٰلِكَ لِتُؤۡمِنُواْ .... الإشارة إلى ما ذكر من الأحكام أي ذلك المذكور لتؤمنوا بالله ورسوله ص356
- والإشارة في وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ إلى ما أشير إليه بـ **ذلك** . ص 357.

سنقدم هذا المثال من خلال تقسيمه إلى جمله الأصلية، ثم نتتبع بواسطة التسهيم جميع العناصر المعجمية وأسماء الإشارة التي تعود إلى عناصر في السياقات القبلية.


فَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلتِي تُجَـٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ 1 ٱلِذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ اُمَّهَـٰتِهِمْۖ إِنْ اُمَّهَـٰتُهُمْۖ إِلاَّ ٱلِـٰٓئِي وَلَدْنَهُمْۗ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَـرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ 2
ج 7
ج 6
ج 5
ج 4
ج 3
ج 2
ج 1
وَالذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ 3 فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناًۚ
ج 12
ج 11
ج 10
ج 9
ج 8
ذَٰلِكَ لِتُومِنُواْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ 4
ج 15
ج 14
ج 13

- المثال الثاني:

﴿لاَّ يَنْهٰيكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ 8 إِنَّمَا يَنْهٰيكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ 9﴾ سُورَةُ ٱلْمُمْتَحنَةِ


لاۤ يَنْهٰىكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ
إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ 8 إِنَّمَا يَنْهٰىكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ
وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ 9
ج1
ج2
ج3
ج4

الخاتمـــــــــــــة

خاتمـــة

حاولنا في هذا العمل أن نتتبع مسألة النسج في النصوص من خلال النظر في عنصرين لغويين هما أسماء الإشارة والوحدات المعجمية. وقد مكننا فحص النماذج التي اخترناها من المدونة القرآنية أن نخلص إلى ما يلي:

1- تتجاوز أسماء الإشارة الوظيفة النحوية باعتبار اندراجها في التركيب، وتحقق بالإضافة إلى ذلك وظيفة دلالية يرتبط فيها اسم الإشارة إما بمعطى خارجي وتكون بذلك إحالته خارجية، وإما بمعطى داخلي من حيث عودته إلى سياق لغوي وتكون بذلك إحالته داخلية.

2- تتميز أسماء الإشارة بقدرتها على الإحالة على سياقات واسعة تتجاوز الجملة الواحدة لتصل إلى مقاطع واسعة. وهذه الإحالة الموسعة تشكل ميزة لها وخاصة اسم الإشارة **ذلك**. ومن هذا الجانب تختلف عن الضمائر لأن إحالتها محدودة من حيث ارتباطها بعنصر من السياق فقط.

3- وكذلك الوحدات المعجمية فإنها بالإضافة إلى وظيفتها في التركيب، تؤدي دورا هاما في تحقيق النسج. ونستند في هذا إلى ما يتميز به المعجم من خصائص من بينها خاصية التقابل وخاصة التكرار وخاصة العموم والخصوص.

4- تسمح خاصية التضاد بتحقيق النسج انطلاقا من ارتباط عنصر من سياق لاحق بعنصر من سياق سابق، وقد يتوسع هذه التقابل ليتجاوز العنصر الواحد ويصل إلى تقابل مقاطع بأكملها. أما التكرار فإنه يأخذ صورا متعددة ابتداء من التكرار التام إلى الاشتقاق باعتبار الاشتراك في المادة اللغوية الواحدة.

5- وخلاصة القول أن معالجة مسألة النسج من خلال أسماء الإشارة، ومن خلال الوحدات المعجمية وخاصة في خاصية التقابل تحتاج إلى تفحص مدونات أوسع لتحدد حركية هذه العناصر في السياقات اللغوية، وتتبع الكيفيات التي تحقق بها نسيج النص.

والحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر المراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

المصادر والمراجع العربية:

- ابن يعيش: شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، مصر، ط 1، 2001،
- أبو بشر عمرو ابن عثمان (سيبويه)، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988.
- أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في البيان والبيان والبديع، تح يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2011.
- رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي: شرح كافية ابن الحاجب، تق ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998
- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، دار ابن حزم، تونس، ط 1، 2021،

أطروحات الدكتوراه ورسائل الماجيستير:

-مفتاح بن عروس: الاتساق النصي- دراسة لظاهرة العائد في العربية، مذكرة ماجيستير، جامعة الجزائر، 1996-1997.
- مفتاح بن عروس: الاتساق والانسجام في القرآن، رسالة دكتوراه دولة، جامعة الجزائر، 2008/2007.

المراجع باللغة الفرنسية:

- A. FOSSION, J.P. Laurent : Les lectures nouvelles, linguistique et pratiques textuelles, **DE BOECK, DUCULOT**, 1981 – 2ème ed
- E. BENVENISTE : Problèmes de linguistique générale. T1. Paris, Gallimard, 1966
- Ewald LANG : Quand une grammaire de texte est-elle plus adéquate qu'une grammaire de phrase ?, **Langages** N°26, 1972
- Ferdinand DESAUSSURE : Cour de linguistique générale, **TALANTIKIT, B**ejaia, 2016
- Gilles SIOUFFI & Dan Van RAEMDONCK :100 fiches pour comprendre la linguistique. Presses de JOUVE- Paris.

- J. M. ADAM : Linguistique textuelle. Des genres de discours aux textes, Nathan, 1999
- M.A.K. HALLIDAY & HASSAN: Cohesion in English, Longinan group Ltd, 1983
- M. MAILLARD : - Anaphores et cataphores, **Communication** 19, Seuil 1972.
  - Essai de typologie des substituts diaphoriques, **Langue Française N°21,** Larousse 1974.
- ZELLIG, S, HARRIS : Analyse du discours, Tra : Françoise Dubois-Charlier, **Langages** N°13

الفـهـرس

المقدمة ..... أ

الفصل الأول مدخل مفاهيمي إلى النص وقضاياه 4

مدخل 2

1. من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص 3

1.1. دي سوسير ومستويات الوصف اللغوي 3

2.1. في مسألة التلفظ 4

3.1. التحليل البنوي للنصوص 5

1.3.1. المحايثة.. 6

2.3.1. تنظيم عناصر النص 6

4.1. هاريس ومسألة الخطاب 6

5.1. محاولة تأسيس نحو للنص في مقابل نحو للجملة 10

2. معالم لسانيات النص 12

1.2. جان مشال آدم وتشكل النص 12

2.2. مهـام لسانيات النص 14

3.2. أنواع العلاقات التي تنشأ بين الوحدات القاعدية 18

1.2.2. الأدوار والمقاطع 20

2.2.2. تشكل النصوص 21

4.2. هاليداي ومسألة الاتساق 23

مدخل 23

1.4.2. مفهـوم النص 24

1.1.4.2. العلاقة بين النص والمقام 25

2.1.4.2. العلاقات النصية الداخلية 26

1.2.4.2. بين النسيج والبنية 28

4.1.4.2. خلاصة في مفهوم النص 29

2.4.2. العناصر المحققة للاتساق النصي 30

1.2.4.2. الاستبدال 30

2.2.4.2. الحذف 32

.1.2.4.2 الوصل 34
.4.2.4.2 الإحالة..... 35
.1.4.2.4.2 إحالة الضمائر 35
.2.4.2.4.2 إحالة أسماء الإشارة 37
.3.4.2.4.2 إحالة المقارنة 38
.5.2.4.2 الاتساق المعجمي 41
.1.5.2.4.2 التكرار 41
.2.5.2.4.2 التلازم..... 42
خلاصة الفصل..... 43
الفصل الثاني أسماء الإشارة ودورها في نسيج النص..... 45
مقدمة 46
1. أسماء الإشارة في التراث النحوي..... 47
1.1. نظام أسماء الإشارة عند سيبويه 47
2.1. مفهوم الإشارة 50
3.1. أسماء الإشارة عند الرضي الاستراباذي 51
2. أسماء الإشارة بين الإحالة السياقية والإحالة المقامية 51
1.2. أسماء الإشارة والإحالة المقامية 51
2.2. أسماء الإشارة والإحالة السياقية 55
1.2.2. أسماء الإشارة الدالة على القرب..... 55
2.2.2. أسماء الإشارة الدالة على البعد..... 59
3. دور اسم الإشارة في تقوية النسج 67
خلاصة الفصل 69
الفصل الثالث العائد الإشاري ودوره في نسيج النص 70
مقدمة 71
1. العلاقات الاتساقية عن طريق التكرار 72
1.1. في حالة التكرار التام..... 72
2.1. الانتقال من النكرة إلى المعرفة 73
2. الاتساق بواسطة الأسماء العامة 75

3. الاشتقاق ودوره في بناء الاتساق والسلاسل الاتساقية..... 79
4. التقابل ودوره في نسيج النص..... 82
1.4. الطباق والمقابلة في البلاغة العربية 82
2.4. التقابلات في السياقات القرآنية 83
5. تظافر العناصر العائدية في تحقيق النسج وتقويته 91
خاتمــة 98
قائمة المصادر المراجع..... 99